الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي– الأغواط–

كلية الأدب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
ميدان: لغة والأدب العربي
شعبة: الدراسات اللغوية
تخصص: اللسانيات العربية
تقديـــــم الطالبـــــــة:
مسعــودة بوهـــــالي

مذكـــرة لنيل شهادة الماستر

القيم التّداولية في كتب التفسير من خلال تفسير التحرير والتنوير سورة الكهف –أنموذجاً–

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة
د. محمود طلحة	أستاذ محاضر "أ"	رئيســـــــــــا
أ.د. طيب دبـــــة	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقـــــررا
أ.د. مسعود صحراوي	أستاذ التعليم العالي	مناقشـــــــــا

السنة الجامعية: 2019–2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــــداء

أهدي عملي هذا إلى الذي أنعمني نعمة العقل، التي حققت بها هذا العمل المتواضع ربّي أشكرك وأحمدك.

إلى ملاكي في الحياة، إلى معنى الحب والحنان والتفاني، إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وتفوقي؛ أمي نبع الحنان "الغالية شتيح" أدامها الله لي.

إلى من كلله الله بالهيئة والوقار، إلى من علمني العطاء بدون انتظار، إلى من لا يمكن للكلمات أن تُوفي حقه والدي العزيز

" عيسى" أدامه الله لي.

إلى كل من تميزوا بالوفاء والعطاء إخوتي الأعزاء: نادية، يوسف، أيمن، عبير، مريم.

إلى كل عائلتي وأقاربي وصديقاتي، إلى روح جدي الطيبة

" محمد" وإلى جدّتَي "ربيعة وفاطمة" أطال الله في عمريهما.

إلى الإخوة التي لم تلدهم أمي؛ جهينة، أم الخير، سارة، مريم، فاطنة، سعاد، مباركة، أسماء، نعيمة، زينب، أم هاني، أمينة.

إلى جميع الأصدقاء.

إلى أساتذتي بثانوية 19 مارس1962 بالمدينة الجديدة "بليل"

أهدي ثمرة هذا المجهود

مســـعودة بوهالي

شكر وعرفان

لا يسعني في هذا المقام إلاّ أن أتقدم بالحمد والشكر لله عزوجل أولا الذي يسر لي سبيل هذا العمل، وقرب بعده، وأفاض علي من نعمائه وفضله، حتى اكتمل هذا البحث واستوى على سوقه.

كذلك أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لأستاذي الفاضل د. الطّيب دبة، الذي قبل الإشراف على هذا البحث بصدر رحب وبكل صبر، وعلى ما أسداه لي من توجيه، وما قّدمه لي من تصويب أفدت منهما في تصور هذا الموضوع، وَوَضَع خطته وتطبيقاته، من بدئه إلى منتهاه، فجزاه الله عني خير الجزاء وجعل ذلك في ميزان حسناته.

جل التقدير والامتنان إلى أستاذي الفاضل د. مسعود صحراوي على ما أسداه لي من توجيهات قيمة، استفدت منها في فهم موضوع البحث .

دون أن أنسى أستاذي الفاضل د. إبراهيم ميهوبي، الذي لم يبخل عليَّ يوما بنصائحه وتوجيهاته، فطالما شجعني وحفزني على المضي في مسيرتي العلمية، كما ساعدني في فهم هذا الموضوع واستيعابه، فجزاه الله ألف خير.

كما أشكر جميع الأساتذة الكرام في قسم اللغة والأدب العربي، كلية اللغات والآداب بجامعة عمار ثليجي بالأغواط.

وأخيرًا أقدم شكري إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد، وقدَّم لي يد العون والدّعم والتشجيع ولو بكلمة طيّبة، من الأساتذة الأفاضل، والزُّملاء الأعزَّاء، وساهم في تدليل الصعوبات التي واجهتني أثناء كتابة هذا البحث، فلهم منّي جميعا فائق الاحترام والتّقدير والعرفان.

مسعودة بوهالي

مقدمـــــــــة

مقـــدمـــة:

الحمد لله رب العالمين والصّلاة والسّلام على رسولنا الكريم وآله وأصحابه الطيبين الطّاهرين ومـــن اهتدى بهديه إلى يوم الدين أمَّا بعد:

تمثل الدّراسة التداولية أحد الاتجاهات اللسّانية الحديثة الّتي ظهرت نهاية القرن التاسع عشر، وتعـــنى بدراسة الاستعمال اللغوي، إذ تُعرف بأنّها دراسة المنجز اللغوي أثناء الاستعمال؛ أي دراسة اللغة عنـــد استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة بوصفها كلاما محدّدا صادرا من متكلم محدّد وموجها إلى مخاطب محدّد في مقام محدّد لتحقيق غرض تواصلي محدّد.

وتتجلى معالم التّفكير التّداولي في التراث اللّغوي العربي في علم النحو، والبلاغة، والتفسير من خلال عنايتهم باللّغة في بعدها الاستعمالي وكذا تطرقهم للقضايا التداولية من مراعاة لعناصر العملية التواصلية ومقصدية وسياق، وحجاج وغيرها من القضايا التي سنحاول استثمارها في هذا البحث العلمي.

ويطمح موضوع هذا البحث إلى دراسة القيم التداولية في كتب التفسير، ويسعى إلى الكشف عـــن معانيها ومقاصدها من منظور تداولي محاولا تتبع هذه القيم من خلال دراستها في كتب التفســـير أولاً بصفة عامة ثم في تفسير التحرير والتنوير، وفي الأخير يحاول أن يُقدم دراسة تطبيقية وأن يكشف عـــن كيفية استثمار ابن عاشور لها في تفسير سورة الكهف.

ولقد وقع اختّيارنا لهذا الموضوع لأسباب موضوعيّة وعلمية تتمثل في قيمة الموضوع العلمية وحداثته في ساحة الدّرس اللّساني، كونه يعتمد على أهم النّظريات اللّسانية الحديثة، وهناك أسباب ذاتية تتمثل في حبنا للقرآن الكريم، ورغبتنا في البحث عن أسراره وأبعاده، وكذلك رغبتنا في محاولة الكشف عن القيم التداولية في تراثنا اللّغوي من خلال الاشتغال في حقل تفسير القرآن الكريم.

من هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة، موسومة بـــــــــــــــــــ:(القيم التداولية في كتب التفســـير من خلال تفسير التحرير والتنوير ـسورة الكهف أنموذجاـ).

وتنبني هذه الدراسة على إشكالية كبرى هي؛ كيف يمكن أن نجد بعض القيم التداولية في تفسير التحرير والتنوير من خلال تفسيره لسورة الكهف؟ وهذه الإشكالية بدورها كذلك تتفرع إلى مجموعـــة مـــن الأسئلة الفرعية هي؛ إلى أي مدى مارس التراث اللّغوي العربي التفكير التداولي؟ ماهي صـــلة البلاغـــة بالتداولية في كتب التفسير؟ ماهي القيّم التداولية الّتي عالجتها كتب التّفسير؟ وماهي أهم المفاهيم والقيم التي وظفها محمد الطاهر ابن عاشور في خطابه التفسيري؟ وإلى أي مدى نجح ابن عاشور في اســـتثمار القيم التداولية؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة ارتأينا أن نقسم هذا البحث إلى: مدخل وثلاثة فصول وخاتمة.

فقد تطرقنا في المدخل المعنون بـــــــ: "ملامح التداولية في التراث اللّغوي العربي" إلى ذكر البعد التداولي عند كلّ من النحاة والبلاغيين والأصوليين والمفسرين.

أمّا الفصل الأوّل المعنون بـــــ: " القيم التداولية في كتب التفسير" فقد تضَّمن ثلاثـــة مباحـــث رئيسية خصَّصنا المبحث الأوّل لتعريف القيم التداولية في منابتها عند الغربيين مـــن ذلـــك؛ نظريـــة الأفعال الكلامية ومتضمنات القول، والإشاريات، والقصد، والسياق، والاستلزام الحواري والحجـــاج، والمبحث الثاني للكشف عن القيم التداولية في كتب التفسير، وتضَّمن المبحث الأخير مقارنة تبين المواقف المختلفة لكتب التفسير من الاستثمار البلاغي.

والفصل الثّاني المعنون بـــ: " القيم التداولية في تفسير التحرير والتنوير" تضَّمن مبحثين خصَّصنا المبحث الأوّل لتعريف المؤَلِف والمؤلَف، والمبحـــث الثـــاني لتجليـــات القـــيم التداوليـــة في التحريـــر والتنوير: المقصدية والسياق بنوعيه اللغوي والمقامي، واستثمار علم المعاني؛ لبعض القضـــايا كالتقـــديم والتأخير والحذف...، والحجاج وغيرها.

وفي الفصل الأخير عالجنا: " القيم التداولية في تفسير سورة الكهف عند ابن عاشـــور" وتضَّـــمن مبحثين خصَّصنا المبحث الأوّل لتعريف السورة وأسباب نزولها وذكر القصص الموجودة فيها، والمبحث الثاني لمعالجة واستخراج القيم التداولية في تفسير سورة الكهف وذلك في سياق تطرقنا لبنـــاء ســـورة الكهف بوصفها خطابًا، ومن هذه القيم؛ المقصدية، والسياق، والحجاج، ومراعاة المخاطب وغيرها.

وفي خاتمة البحث تعرضنا لأهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يتضح تحديداً من خلال استقراء النصوص، للبحث عن القيم التداولية وكيفية استثمارها في خطاب التفسير.

اعتمدنا في دراستنا هذه على مجموعة من المصادر والمراجع نـــذكر منـــها علـــى ســـبيل المثـــال لا الحصر: نظرية أفعال الكلام العامة لـــ أوستين، التداولية من أوستين إلى غولفمـــان لـــــــ فيليـــب بلانشيه، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر لـــ محمود أحمد نحلة، التداولية عند العلمـــاء العـــرب لمسعود صحراوي، واللغة والحجاج لـــ أبو بكر العزاوي، واستراتيجيات الخطاب لـــ عبد الهادي بـــن ظافر الشهري، الحجاج في القرآن الكريم لعبد الله صولة، تفسير الكشاف للزمخشري، وروح المعـــاني في تفسير القرآن والسبع المثاني للألوسي ومفاتيح الغيب للرازي، والبحر المحـــيط لأبي حيـــان الأندلســـي، وتفسير التحرير والتنوير.

أمّا عن الدّراسات السّابقة الّتي تتعلق بالبحث التداولي في كتب التّفسير وجدنا: الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق لـــــ: خلود العموش، والمنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور "سورة البقرة أنموذجا" من تقديم: الطاهر شارف رسالة ماجستير وإشراف أحمد شـــامية، جامعة الجزائر 2005، و"تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي تفسير فخر الدين الرازي لســـورة المؤمنون أنموذجا" من تقديم عبد الرحمن بشلاغم رسالة ماجستير وإشراف نورية شيخي، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان 2013، والمنحى التداولي في تفسير الكشاف للزمخشري من تقديم أمبارك بن مصطفى أطروحة دكتوراه وإشراف عبد الجليل مرتاض، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان 2017.

أمّا فيما يتعلق بدراسة السورة فقد وجدنا أنّ جلّ الدراسات كانت منصبة على الأفعال الكلاميـــة أكثر نذكر منها؛ الأفعال الكلامية في سورة الكهف- دراسة تداولية" من تقديم: آمنة لعـــور رســـالة ماجستير وإشراف زهيرة قروي، جامعة منتوري قسنطينة 2010، و" مستويات الأفعال الكلاميـــة في الخطاب القرآني سورة الكهف أنموذجا" من تقديم: خلوفي قدور أطروحة دكتوراه، وإشراف بن عيسى عبد الحليم، جامعة أحمد بن بلة وهران 2014، و "تداولية المجاز من خـــلال ســـورة الكهف"تقـــديم: يومبعي جميلة رسالة ماجستير وإشراف أحمد موساوي، جامعة قاصدي مرباح ورقلة 2014.

وبما أنّ أي بحث لا يخلو من الصّعوبات والعوائق، فإنّ بحثنا هو الآخر قد لاقى بعض الصـــعوبات مثل:

- قلة الدراسات التي تناولت القيم التداولية في كتب التفسير.

- قلة الدراسات التطبيقية الّتي يمكن أن تخدم هذه الدّراسة، وكذا خصوصية المدونة (القـــرآن الكـــريم) وكيفية استخراج القيم التّداولية منها.

وفي الختام لا يسعني إلاّ أن أتقدّم بأسمى عبارات الشكر والتقدير لأستاذي المشـــرف د. الطيـــب دبة، على صبره وحلمه، وعلى ما قدمه لي من نصح وتوجيه، وما تفضل به عليّ من مراجع ومقالات.

ونرجو من الله عزوجل أن نكون قد وفقنا في هذا البحث المتواضع ونسأل الله أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

مدخل: ملامح التداولية في التراث اللّغوي العربي

1/ ملامح التداولية عند النحاة

2/ ملامح التداولية عند البلاغيين

3/ ملامح التداولية عند الأصوليين

4/ ملامح التداولية عند المفسرين

تمهيد:

لقد أصبح جليا، أنّ البحث في التراث اللّغوي العربي الذي يعتبر وعاءً فكرياً ثرياً ينطلق من التوجهات اللسانية الحديثة، ويفتح لنا آفاقا ورؤى جديدة للبحث في مجال الدّراسات اللّغوية العربية من نحو وبلاغة وأصول فقه وتفسير، لمعرفة خصائصها والتمعن فيها، وإيجاد الملامح التداولية الموجودة فيها.

أولا: ملامح التداولية في التراث اللغوي:

للحكم على أي دراسة أنّها تداولية لابّد من النظر في مجموعة من القضايا، وهذه القضايا تتمثل في النظر في الأبعاد الوظيفية لاستعمال اللّغة، وعناصر العملية التواصلية من خطاب مخاطِب ومخاطَب والقصدية في الخطاب، والربط بين المقام والمقال[1]وغيرها ممَّا سنحاول في المباحث الموالية التعرض له من خلال كل فئة من فئات التراث اللغوي على حدة.

1/ملامح التّداولية عند النّحاة:

لم يكن كل النحاة بعيدين عن دراسة المعاني بل منهم من كان على صلة وثيقة "بمعاني الكلام" وبأغراض الأسلوب ومقاصده، وبطرق و أحوال الاستعمال اللّغوي وطبيعة العلاقة بين المتكلمين والمخاطبين وبملابسات الخطاب ودلالته وأغراضه، ففهموا اللّغة على أنها لفظ معيّن يؤديه متكلم معيّن في مقام معيّن لأداء غرض تواصلي إبلاغي معيّن"[2]، وهذا ما تنص عليه التداولية.

فقد ذهب الباحثون الثلاثة (جورج بوهاس، وباتريك كيوم، جمال كلوغلي) إلى أنّ سيبويه لا يحلّل الملفوظات بانفصال عن سياقاتها ومقاماتها، وأنه يعتمد النظرة الفعلية للغة من خلال متابعته

[1] ينظر: إبراهيم ميهوبي، محاضرات في البلاغة والنظريات التداولية، 11:00 سا، 2019/11/4، 2020/2019.

[2] ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة" الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط1، 2005، ص 174.

للاستعمال اللغوي للمتكلم العربي، ويرون أنّ سيبويه في إصراره على استعمال لفظة (كلام) بدل الجملة إصرار على ترسيخ البعد التداولي[1].

يقول مقبول إدريس:« واعلم أن الكلام كما ذهب المارودي تُرجمان يعبر عن مستودعات الضمائر ويُخبر بمكنونات السرائر، لا يمكن استرجاع بوادره، ولا يقدر على رد شوارده، فحق على العاقل أن يحترز من زلته»، هنا قبل التطرق في شرح القضية تجدر بنا الإشارة إلى توضيح معنى اللحن التداولي الذي يقصد به خرق اللغة في جانبها النحوي أو الصرفي في بعض الأحيان، وقد يعتري مستويات عدة من بينها المستوى التداولي التكلمي[2].

وقد قسم سيبويه الكلام على النحو التالي[3]:

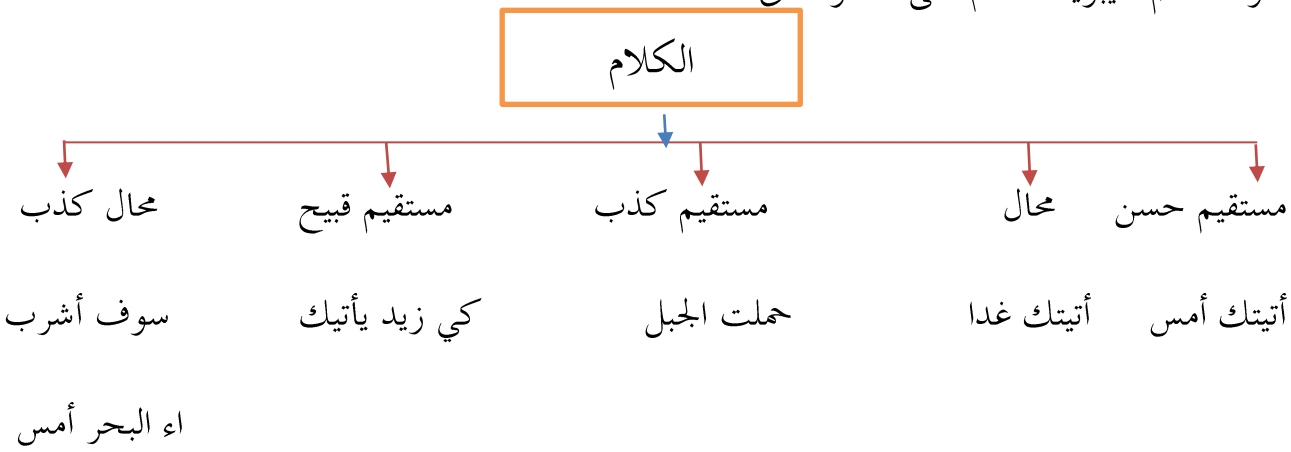

يقول إدريس مقبول: «اعلم أنَّ حكم سيبويه على أحد أنماط الكلام بصفة المستقيم الكذب هو ما نسميه اللحن التداولي الذي تنخرم فيه شروط المطابقة بين النسبة الكلامية والنسبة الواقعية الخارجية والنسبة العقلية كما يعبر عنها البلاغيون وكذا التداوليون»[4].

---

[1] ينظر: إدريس مقبول، الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، عمان- الأردن، ط 1، 2006 ، ص 276 -277.

[2] ينظر: نفسه، ص 279.

[3] ينظر: أبو بِشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب- كتاب سيبويه-، (تح. عبد السلام محمد هارون)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1988، ج(1)، ص 25 -26.

[4] الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه ، ص 281.

إذ يقول الشارح أبو سعيد السيرافي:« وإنَّما خصَّ المثالين بالكذب لأنّ ظاهرهما يدل على كذب قائلهما قبل التصفح والبحث، وإلاّ فكل كلام تكلم به، وكان يخبر على خلاف ما يوجبه الظاهر فهو كذب علم أو لم يعلم، كقول: " لقيت زيدا اليوم"، إذا لم يكن الأمر على ما قال فهو مستقيم كذب إنّ الكلام المستقيم الكذب تركيب انتظمت عناصره وأجزاؤه وفق نسق لغوي وقاعدي مقبول يحافظ فيه على الرتب والمحلات وآثار الإعراب، غير أنّ اللحن يمكن أن يأتيه من جهة دلالة ملفوظه في علاقته بالاعتقاد والواقع، إذ هو إمّا صادق أو كاذب بناءً على المنطق الثنائي القيمة كما هو معروف عند بعض التداوليين»[1].

نفهم مما سبق أنَّ الكلام المستقيم الكذب هو ما كان تركيبه منظما لكن المعنى منطقي ويصيبه اللَّحن. أمّا المحال فهو أن تنقض كلامك بكلامك أوله بأخره.

ويضرب لنا مقبول إدريس أمثلة يبين فيها مفهومي الاستقامة والكذب إذ يقول: لو قال أحدهم مثلا:

- توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي ما يزال يترل على الناس.

- التقى الحسن البصري بالإمام الزمخشري في بغداد.

إنّ هذه الجمل مستقيمة نحويا لمراعاتها ما يقتضيه النحو عموما على مستوى التركيب، لكنها لاحنة تداوليا من ناحية المعنى، لما علم من أن الوحي انقطع نزوله قبل وفاته صلى الله عليه وسلم، ولما علم من استحالة لقاء الحسن البصري(110هـ) والزمخشري(538هـ) لما بينهما من فرق الزمن.[2]

[1] ينظر: إدريس مقبول، الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، ص 281- 282.

[2] ينظر: نفسه، ص 286.

تبين لنا هذه الأمثلة أن الملفوظات تكون مستقيمة نحويا على مستوى التركيب؛ فعل، فاعل مفعول به غير أن المعنى غير منطقي وهذا ما يسمى اللّحن التداولي لأن التداولية تركز على المتكلم والمخاطب لنجاح العملية التواصلية.

2/ ملامح التداولية عند البلاغيين :

إنّ البلاغة العربية في دراستها للخطابات المتنوعة؛ القرآن، والحديث، والشعر، والخطابة، قد اهتمَّت بتقديم توصيف لعناصر العملية التواصلية(متكلم وسامع ورسالة ومقام ومرجع)، وفي إطار هذا التوصيف عنيت بمقاصد الخطاب وأحوال المتلقين له، وشروط الخطاب الناجح الذي يحقق الفائدة لدى المتلقي والمؤشرات اللّغوية المتحكمة في ذلك، ممّا أكسب البلاغة العربية أبعادًا لسانية وتداولية مهمّة تضمَّن لها التواصل المعرفي مع معطيات الدرس الحديث والمعاصر.[1]

وإنَّ كانت التداولية تهدف إلى استخراج شروط الإبلاغ اللّساني؛ فإنها تقوم على علاقة اللغة بخصوصيات استعمالها، وتُمثّلُ أحد مظاهر البُعد الإدراكي، ولعلَّ علماءنا العرب لم يكونوا بعيدين عن معرفة المظاهر التداولية للغة[2]، فقد تعرّضوا لمباحث تعدّ اليوم من صميم البحث التداولي لعلّ من أبرزها:

دراسة اللغة العربية بعدِّها وسيلة للتّواصل والتّعبير عن الأغراض والمعاني فهي ذات قيمة نفعية تعبيرية واهتمامهم بعناصر العملية التخاطبية (المتكلّم وقصده، والسّامع وأحواله، والخطاب ونوعيته والظروف المحيطة بكل ذلك)، ودراستهم لمجموعة من الوظائف النحوية كالتخصيص والتوكيد... دراسة وظيفية تداولية وتطرقهم للسّياق بنوعيه وتحليلهم له في إطار معالجتهم لفكرة" لكل مقام مقال" و لكلّ كلمة مع صاحبتها مقام".

[1] ينظر: باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد السابع، 2011، ص172.

[2] عبد الله جاد الكريم، التداولية في الدراسات النحوية، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ط 1، 2013، ص113.

ودراستهم للأساليب وأغراضها وانتقالها من الدّلالة الحقيقية إلى دلالات أخرى يقتضيها المقام من ذلك ما أورده السكاكي في دراسته لظاهرة التقديم والتأخير حيث يرى أنّه يرتبط ارتباطا وثيقا بالسّياق اللّغوي من جهة، ومراعاة مقتضيات الأحوال من جهة أخرى وأنّ هذا التقديم والتأخير يكشف عن قصد المتكلم وغرضه من خطابه، ففي قوله تعالى:﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُم شَهِيدًا عليهم﴾[البقرة:143] يقولون أُخرت صلة الشهادة أولا وقدِّمت ثانيا لأنّ الغرض في الأوّل إثبات شهادتهم على الأمم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرّسول صل الله عليه وسلم شهيدا عليهم[1]، من هذا التحليل يتضح أنّ السكاكي يشير بوضوح لارتباط التّقديم والتّأخير بالجانب الدّلالي والتّداولي وما يقتضيه من ارتباط ترتيب عناصر الجملة بهذه الطريقة بالمعنى المقصود، استنادا للسياق العام الذي وردت فيه الآية الكريمة.[2]

وسنحاول هنا أن نقتصر على ذكر بعض القضايا التي أوردها الجرجاني وتعدّ ذات قيمة تداولية:

القضايا التداولية عند عبد القاهر الجرجاني:

لقد ورد في دلائل الإعجاز لـــعبد القاهر الجرجاني: «أنّ الكلام على ضربين: ضربٌ أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وضربٌ آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلُّك اللفظ على معناه الذي يقتفيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية، تصلُ بها إلى الغرض ومدارُ هذا الأمر على الكناية، أَوَ لاَ ترى أنك إذا قلت: هو كثير رماد القدر أو قلت في المرأة: نَؤوم الضُّحى، فأنَّك في جميع ذلك لا تُفيد غرضك الذي تعني منه مجرد اللفظ، ولكن يدلُّ

[1] ينظر: باديس لهويمل، السّياق ومقتضى الحال في مفتاح العلوم_ متابعة تداولية_ مجلة المخبر، جامعة بسكرة- الجزائر، العدد التاسع، 2013، ص169.

[2] ينظر: نور الهدى حسني- باديس لهويمل، اللسانيات التداولية في الخطاب البلاغي العربي" متابعة تداولية" ، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة محمد خيضر- بسكرة، العدد الثاني، 2017، ص 48.

اللفظ على معناه الذي يُوجبه ظاهره، ثم يعقِلُ السامع من ذلك المعنى على سبيلِ لاستدلال معنًى ثانيًا هو غرضك»[1].

وهذه الفكرة نفسها نجد صداها لدى التداوليين في حديثهم عن اللغة و القصد وإنْ كانت التّداولية أوسع من الكناية، والبلاغة العربية تدخل فيها، ومن اللافت أنَّ(الجرجاني) يُحدِّد بدقة أهمَّ قضية من قضايا التّداولية ألاَّ وهي "المقصدية" بقوله: أن يكون للفظ المفسر معنى معلوم يعرفه السامع.[2] فالقصد مذهب فريد في التفكير البلاغي العربي، إذ لا فرق بين ما عرضه الجرجاني وما ذكره أوستين في بداية تأسيسه لنظرية أفعال القصد بافتراضه قسما سمّاه الأفعال الإنجازية فعلى المتكلم أن يكون عارفا بالواقعات، وأحوال الكلام وظروف التخاطب[3].

كذلك من القضايا التي اعتنى بها الجرجاني(ت471هـ) وتعّد ذات قيمة تداولية؛ اهتمامه بالمقام الذي يضم كلاًّ من المتكلم والسامع والظروف والعلاقات الاجتماعية والأحداث الواردة في الماضي والحاضر، وغير ذلك من مشمولات عملية التواصل من مواقف وحالات وأغراض تختلف من خطاب إلى آخر، فقد كان سباقا إلى تحديد خطورة السياق وفعله في بيان الدلالة المطلوبة، حين ربط كل كلام بمقام استعماله ومراعاة مقتضى حاله وعنده لا يمكن أن نضع قاعدة واحدة تستوعب كلّ الحالات، وإنّما لكل موقف ومقتضى حال تركيب يتلاءم معه.[4]

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، (تح. مُحمد محمود شكري)، مكتبة الخانجس، القاهرة – مصر، ط 1، ص 203.

[2] عبد الله جاد الكريم، التداولية في الدراسات النحوية، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ط 1، 2013، ص 113- 114.

[3] ينظر: خليفة بوجاي، في اللسانيات التداولية- مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم-، بيت الحكمة، الجزائر، ط 1، 2009، ص 170- 171.

[4] ينظر: هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، مكتبة لسان العرب، الجامعة المستنصرية، ط 1، 1988، ص 83.

ممّا يؤكد اهتمام الجرجاني بالسياق المقامي(المقام)، وحال المخاطب تقسيمه لأضرب الخبر إلى ثلاثة أقسام هي[1]:

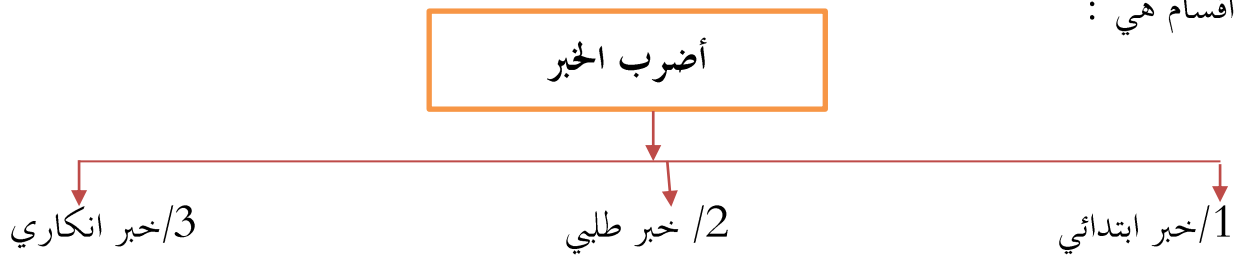

– فالأول: يكون المتلقي فيه خالي الذهن من الحكم، فيكون الخبر خاليا من المؤكدات مثل: عبد الله قائم. – والثاني: يكون المتلقي فيه مترددا في الحكم أو شاك، فيُؤكد له الخبر، بأداة توكيد مثل: إنّ عبد الله قائم.

– أمّا الثالث: فالمتلقي يكون فيه منكرا للحكم فيؤكد له الخبر بأكثر من مؤكد مثل: إنّ لعبد الله قائم.

على الرغم من ذلك التوحد في المباني الثلاثة إلاّ أنَّ هناك اختلافا في المعنى، وما تحتويه دلالة التركيب من قوة إنجازية يوردها المرسِل في نصه، مراعيا بذلك أحد أهم الأسس التداولية في تشكيل وتحليل الخطاب ألا وهو الاهتمام بالمتلقي وحاله[2].

إضافة إلى ذلك نجده قد **حدد عناصر العملية التواصلية** بقوله: «وإذا قد عرفت أنه لا يتصور الخبر إلاَّ فيما بين شيئين مخبر به ومخبر عنه فينبغي أن يعلم أنه يحتاج من بعد هذين إلى ثالث وذلك أنه كما لا يتصور أن يكون هاهنا خبر حتى يكون مخبر به ومخبر عنه، كذلك لا يتصور أن يكون خبر حتى يكون له مخبر يصدر عنه ويحصل من جهته ويكون له نسبة إليه، ويقود التبعية فيه عليه، فيكون هو الموصوف بالصدق إن كان صدقا وبالكذب إن كان كذبا»[3].

---

[1] ينظر: أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث ، إربد– الأردن، ط 1، 2015، ص 41- 42.

[2] ينظر: أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ص 42.

[3] إبراهيم ميهوبي، محاضرات في البلاغة والنظريات التداولية، 12:45 سا، 2018/11/28، 2019/2018.

في هذا النص يحدد الجرجاني بعض عناصر العملية التواصلية وهي: المخبر به (الكلام-الرسالة-) والمخبر(المتكلم) وأهميته، والمخبر عنه(المرجع)، ونجده يعطي اعتبارا للمتكلم ويركز عليه لأنه هو الذي يصدر منه الكلام ويوجهه إلى المتلقي فيوصف بالصدق أو الكذب، فالتداولية الغربية تركز على المتكلم والمخاطب والخطاب، كما حددها الجرجاني.

واهتم بدراسة **الأغراض وبمقاصد المتكلمين** لأنّ لهذه الأخيرة -المقاصد- أهمية بالغة في تحديد ماهية الكلام والغرض منه، فقد عدّها الجرجاني علم ضرورة إذْ قال؛ وقد أجمع العقلاء على أنّ العلم بمقاصد النّاس في محاوراتهم علم ضرورة ...،ثم يُبيّن حقيقة هذه المقاصد والأغراض في موضع آخر بأنّها المعاني التي يُنشئها الإنسان في نفسه، ويُصرفها في فكره، ويناجي بها قلبه، ويراجع فيها عقله.[1]

ويبرز المستوى التداولي عند الجرجاني بوضوح عندما يؤكد على ضرورة الاستعانة بالآليات التداولية غير اللّسانية في التحليل، مثل العناية والاهتمام، والأغراض والمقاصد، ومراعاة الظروف والملابسات التي تحيط بالكلام، "فبذلك يحسُنُ الكلام وتكون المزية"، لأنّ المعاني والتراكيب تتعدد بتعدد المقامات، جاعلا المقام من أهم الأسس التي بنى عليها منهجه من خلال ربط الكلام بمقام استعماله مراعيا مقتضى حاله ذلك أنه كلما تعددت المقامات تباينت المعاني واقتضت تراكيب تناسبها(مقتضيات الأحوال)[2].

3/ ملامح التداولية عند الأصوليين:

يمثل باب البيان موضوعا بالغ الأهمية في تفسير النصوص وتأويلها؛ إذ فيه تتحقق مقصدية صاحب الخطاب وعرفية الاستعمال اللغوي، والبيان عند الأصوليين هو مادة الدليل الموصل إلى الحكم الشرعي، وقد نهجوا في تحديده منهجا عقليا دقيقا، مستهدفين تحديد الدلالة النصية، ويُعدّ اجتهادهم في تحديد

[1] ينظر: عيسى تومي، الأبعاد التّداولية في خطاب القرآني_ سورة البقرة أنموذجا_، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر- بسكرة، 2015، ص20.

[2] ينظر: عماري محمد، مبادئ الدرس التداولي في التّراث العربي_ نظرية الخبر والإنشاء أنموذجا_، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة1- الجزائر، 2017، ص 204.

أنواعه أبرز دليل على عنايتهم به، كما ذكروا أركانًا للبيان يقوم عليها، وهي المبيِّنُ(الله عزوجل) أو الرسول صلى الله عليه وسلم، والبيان، ويمثل الدليل الموصل إلى معرفة الحكم، أما اللَّفظ الذي تتضح دلالته بحيث يُعرف المراد منه، فهو المُبيَّنُ، في حين يمثل المُبَيَّنُ إليه المتلقي أو المكلف بالأحكام الشرعية[1].

إنّ هذا التّصور لأركان البيان يبين إدراكا عميقا لحقيقة العملية التبليغية من خلال نموذج متميز هو القرآن، ذلك أنّ عناية الأصوليين كانت منصبة على إبراز خصوصيات الإعجاز النصي، وكيفية تلقي المكلفين للآيات القرآنية، بوصفها جملة من الأفعال القابلة للإنجاز والعمل، فهم بذلك يجيبون عن السؤال الذي آثاره المحدثون حول كيفية تحويل القول اللِّساني إلى فعل منجز حقيقة[2].

ولعلّ من أهم الموضوعات المتعلقة بكيفية استعمال اللغة وتداولها وفهمها، والتي عرض لها الأصوليون مبحث السياق؛ لأنهم رأوا أنه لا معنى من دون سياق ولا تأويل من دون اعتباره، فهذا الشافعي "رحمة الله عليه" عنوّن به بابا من أبواب رسالته الأصولية إذ قال؛ باب الصنف الذي يبيّن سياقه معناه[3]، وقال ابن دقيق العيد: «أمّا السّياق والقرائن فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه وهي المرشدة إلى بيان المجملات وتعيين المحتملات وتنزيل الكلام على المقصود منه وفهم ذلك قاعدة من قواعد أصول الفقه، و لم أرى من تعرض لها في أصول الفقه بالكلام عليها وتقرير قاعدتها مطوّلة إلاَّ بعض المتأخرين ممّن أدركنا أصحابهم وهي قاعدة متعيّنة على الناظر ذات شعب عن المناظر»[4].

وقد كان الأصوليون ذوي آراء متقدمة فيما يتعلق بالفعل الكلامي ومدى تأثيره وأهميته في حياة الفرد المسلم، فقد توصلوا إلى اكتشاف أو وضع أفعال كلامية فرعية جديدة منبثقة عن الأفعال الكلامية

[1] ينظر: نعمان بوقرة،(الأربعاء، 11 مايو 2011)، ملامح التفكير التداولي عند الأصوليين، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الرابعة عشرة، العدد،45، ص 121.

[2] ينظر: ملامح التفكير التداولي عند الأصوليين ، ص 121.

[3] ينظر: عبد الرحمن بشلاغم، تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي-تفسير فخرالدين الرازي لسورة المؤمنون-، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013/ 2014، ص 14- 15.

[4] تجليات التداولية في التراث العربي، ص 14- 15، نقلا عن: إحكام الأحكام في شرح عمدة الأحكام، (تع. عبد الرزاق عفيفي)، ص 87.

الأصلية...ومنه يتضح أنّ الأصوليين من هذه الجهة التداولية قد استأثروا بالبحث فيما فرّط فيه كثير من النحاة؛ وذلك من جرّاء فهمهم لطرق تأليف الكلام وأوجه استعمالاته وإدراك مقاصده وأغراضه، وما يطرأ عليه من تغيير ليؤدي معاني متعدّدة، ومن ذلك بحثهم في ظاهرة الأفعال الكلامية(ضمن نظرية الخبر والإنشاء)، ومراعاة قصد المتكلم وغرضه، والسياق اللغوي وغير اللغوي وتحكيمه في الدلالات...الخ.[1]

إنّ الأصوليين قد استثمروا مفهوم الأفعال الكلامية[2] ضمن الأسلوب الخبري في تحليلهم للنصوص الدينية فنشأت من جرّاء هذا التفاعل بين البُعد النظري والبُعد التطبيقي ظواهر أخرى ...وهذا ما أكّده شهاب الدين القرافي (684هـ) في قوله:« الشهادة خبر، والدعوة خبر، والإقرار خبر، والمقدمة خبر والنتيجة خبر ...فما الفرق بين هذه الأخبار، »، ثم الأفعال الكلامية المنبثقة عن الإنشاء كالإباحة والإذن والأمر والنهي وألفاظ الطلاق والبيع[3].

4/ ملامح التداولية عند المفسرين:

لقد قدم المفسرون وقفات أمام آيات قرآنية، عكست تصوراتهم اللّغوية، والتي ما إن جُمعت مع أفكار البلاغيين واللّغويين وغيرهم، تقترب بوضوح من رؤية اللسانيات التداولية الحديثة إلى اللّغة بعدّها نشاطا تداوليا[4].

ومن وقفاتهم تلك نذكر ما أورده الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى:﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ المَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل:125].حيث يقول: «(بالحكمة) بالمقالة المحكمة الصحيحة، وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة (الموعظة الحسنة) هي التي لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها...(وجادلهم بالتي هي أحسن) بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة

[1] ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 132

[2] للاطلاع أكثر ينظر: التداولية عند العلماء العرب ص 133 إلى 172

[3] ينظر: نفسه، ص 133و 134و 148

[4] ينظر: خليفة بوجاي، في اللسانيات التداولية- مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم-، ص 144_ 145.

من الرفق واللين...»[1]، يتبين من تحليل الزمخشري لهذه الآية أنّه قدَّم وصفةً شارحة لأحوال التواصل وتوضيحات مقام الدعوة بالحكمة والموعظة، وفق أغراض الحديث ومقاصده، وذلك هو مجال اللّسانيات التداولية الحديثة.[2]

كما أنّ الفهم الأدق لمعاني التنزيل الحكيم، مبني على استحضار جميع مكونات الخطاب اللّغوية والسِّياقية في عملية التفسير، وكذا إبراز السياق بنوعيه؛ السياق اللّغوي والسياق المقامي (الحالي)، في تحديد المعنى النصي، والأغراض التداولية للخطاب، فتحوّلت هذه الملفوظات المشكلة للنَّص إلى أفعال كلامية، فكل سورة تنهض على ملفوظات وأفعال قولية تحقق بدورها بُعدًا تأثيريًا على المتلقي، وتوجه أفعاله، وتعدل في سلوكه، وقيمه، ومعتقداته فتلقّي آيات الرحمة، والعذاب، والأحكام الشرعية، والإخبار بالغيب، والدعوة إلى فعل الخيرات، وتجنب المحرمات، كلها موضوعات تدور في فلك الفعل الإنجازي الطلبي الكلي بشتى أغراضه وسياقاته وشروط تحققه[3].

لقد اعتمد المفسرون في دراسة النص القرآني وفهم دلالته على جملة من المفاهيم التداولية مثل: القصد والسياق اللّغوي والسياق المقامي وغيرها، وذلك بتتبع الآيات القرآنية من حيث موقع الكلمة ومدى ملائمتها للمعنى، وهذا ما سنحاول تفصيله أكثر في الفصل الثاني.

---

[1] أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزّمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،(تح. محمد عبد السلام شاهين)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 4، 2006، مج(2)، ص 619.

[2] ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية- مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 145.

[3] ينظر: نعمان بوقرة، ملامح التفكير التداولي عند الأصوليين، ص 116- 117.

الفصل الأول: القيم التداولية في كتب التفسير

المبحث الأول: القيم التداولية في منابتها عند الغربيين

1_ الأفعال الكلامية

2_ متضمنات القول

3_ الإشاريات

4_ المقصدية

5_ السياق

6_ الحجاج

المبحث الثاني: القيم التداولية في كتب المفسرين

1_ المقصدية

2_ السياق

3_استثمار علم المعاني

4_ الحجاج

5_ مراعاة المخاطب

6_ الأفعال الكلامية في أساليب الكلام

المبحث الثالث: تباين مواقف الاستمثار البلاغي في كتب التفسير

الفصل الأول: القيم التداولية في كتب التفسير

المبحث الأول: القيم التداولية في منابتها عند الغربيين

1/ الأفعال الكلامية "Speech acts"

1-1- مفهوم الفعل الكلامي.

تعتبر نظرية الأفعال الكلامية أول مفهوم أسس للفكر اللساني التداولي على يد جون أوستين"John Austin"[1]الذي اهتم بالفعل الكلامي وقد عرفه بقوله:« أما الفعل الكلامي فهو النطق ببعض الألفاظ والكلمات أي إحداث أصوات على أنحاء مخصوصة، متصلة على نحو ما بمعجم معين، ومرتبطة به ومتمشية معه، وخاضعة لنظامه»[2]، إذن فالفعل الكلامي هو كل ملفوظ يقوم على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري إذ يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية، لتحقيق أغراض إنجازيه كالطلب والأمر والوعد والوعيد... وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول، وثم فهو فعل تأثيري يهدف إلى التأثير في المخاطب، ومن ثم إنجاز شيء ما[3].

1-2- أقسام الفعل الكلامي:

1-2-1/ تصنيف أوستين للأفعال المتضمنة في القول: اقترح أوستين خمسة أصناف للفعل الإنجازي وهي كالتالي[4]:

أ-الحكميات: تتمثل في الحُكم، نحو التبرئة، الإدانة، الفهم، إصدار أمر، الوصف، التشخيص، التحليل،...

---

[1] جون أوستين: هو أحد فلاسفة جامعة أكسفورد في القرن 20، وأحد أهم النقاد المعروفين حيث كانت آراءه محط اهتمام الفلاسفة وعلماء النفس واللغة.

[2] جون لانكشو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة- كيف ننجز الأشياء بالكلام-، (تر. عبد القادر قينيني)، إفريقيا الشرق، د ط، د ت، ص 118.

[3] ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، 2005، ص 40.

[4] ينظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، (تر. صابر الحباشة)، دار الحوار، سورية، ط 1، 2007، ص62.

ب- التنفيذيات: وتقضي بمتابعة أعمال مثل الطرد، العزل، التسمية، الاتهام، التوصية، الاستقالة، التوسّل.

ج- الوعديات: إنّ الوعديات تُلزم المتكلم بالقيام بتصرف بطريقة ما، مثل: "الوعد والموفقة والتعاقُد والعزم والنيّة والقسم والإذن والتفضيل...الخ.

د- السلوكيات: وهي أعمال تتفاعل مع أفعال الغير، نحو" الاعتذار والشكر والتهنئة والرأفة والنقد والتصفيق والترحيب والكره والتحريض...الخ.

هـ- العرضيات: وهي أعمال تختص بالعرض مثل:" التأكيد والنفي والوصف والإصلاح والذكر والتوضيح والتفسير والتدليل والإحالة...الخ.

1-2-2/ تصنيف سيرل للأفعال الكلامية: قدم سيرل تصنيفا بديلاً لما قدمه أوستين من تصنيف للأفعال الكلامية يقوم على ثلاثة أسس منهجية هي[1]:

1- الغرض الإنجازي illocutionary point.

2- اتجاه المطابقة direction of fit.

3- شرط الإخلاص sincerity condition.

وقد جعلها خمسة أصناف وهي[2]:

أ- **التقريريات** (**assertives**): الغرض الإنجازي فيها هو وصف المتكلم واقعة معينة من خلال قضية وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق والكذب واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في النقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها.

[1] ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، الإسكندرية- مصر، د ط، 2002، ص 49.

[2] ينظر: نفسه، ص 50.

ب- الأمريات(directives): وغرضها الإنجازي محاولة التكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، ويدخل في هذا الصنف الأمر، والنصح، والاستعطاف والتشجيع.

ج- الوعديات (commissives): وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل، واتجاه المطابقة فيها يكون من العالم إلى الكلمات، ويدخل فيها الوعد ، والوصية.

د- التعبيريات(expressives):وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي تعبيرا يتوافر فيه شرط الإخلاص وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة، فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات مطابقة للعالم ولا العالم مطابقا للكلمات، ويدخل فيها الشكر، التهنئة، والاعتذار والمواساة.

هـ- الإعلانيات (declarations): السمة المميزة لها أن أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، فإذا أديت فعل إعلان الحرب أداءً ناجحا فالحرب معلنة، وثمة سمة أخرى مميزة هي أنها تحدث تغييرا في الوضع القائم.

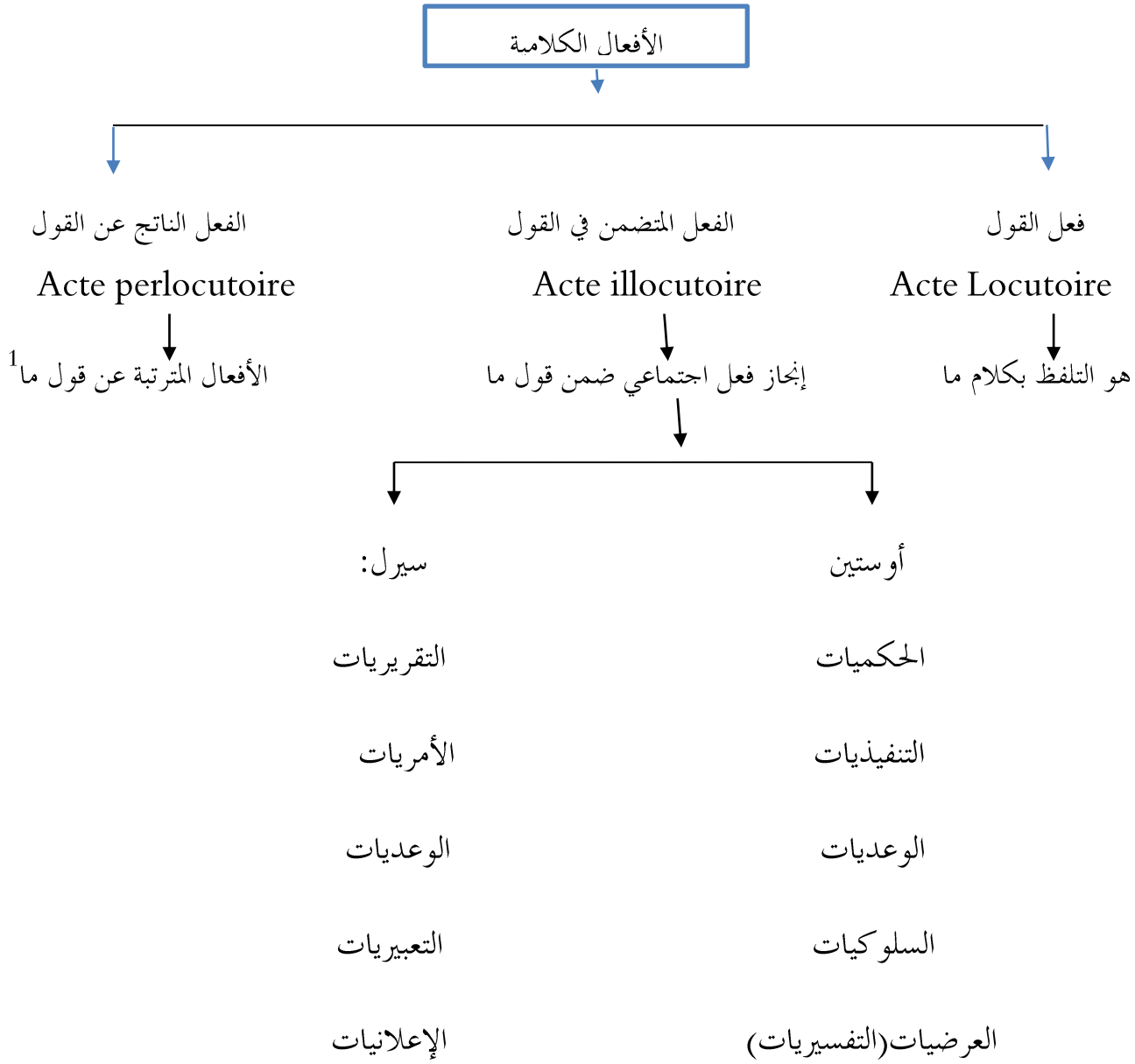

وتنقسم الأفعال الكلامية حسب رأي سيرل"Searle" إلى نوعين:

أفعال كلامية مباشرة: هي« التي يكون معناها مطابقا لما يريد المرسل أن ينجزه مطابقة تامة والدالة على قصده بنص الخطاب»[2].

[1] ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص43.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بنغازي، ليبيا، ط1، 2003، ص 137.

أفعال كلامية غير مباشرة: هي مجموعة الأقوال التي يرمي المتكلمون من خلالها إلى التعبير بشكل ضمنيّ عن شيء آخر غير المعنى الحرفي مثلما هو الشأن في التلميحات والاستعارة وحالات تعدّد المعنى.[1]

2/ متضمنات القول"Les Implicites "

هو« مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره»[2]، وتتشكل متضمنات القول من نمطين هما: الافتراض المسبق"Pré Supposition"ويقصد به المعطيات الأساسية التي ينطلق منها المتخاطبون حيث تعدّ خلفية معرفية أساسية لنجاح العملية التواصلية[3]والأقوال المضمرة"-Les Sous entendus"التي تعرفها أوركيوني"Orecchioni"بأنها:« كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث».[4]

3/ الإشاريات"Deictics: هي العلامات اللّغوية التي لا يتحدّد مرجعها إلاّ في سياق الخطاب التداولي لأنّها خالية من أي معنى في ذاتها[5]وفي ذلك يقول إبراهيم بركات: «يتفق النحاة جميعا على أنّ الأسماء المبهمة يعني بها أسماء الإشارة، وقد خصّ بعضهم المبهمات بأسماء الإشارة وحدها».[6] أي تدرس« التعابير المبهمة حتمًا ضمن ظروف استعمالها أي سياق تلفظها ».[7]فدراستها تعدّ جزءاً من مقاصد الخطاب

---

[1] ينظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 68.

[2] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 30.

[3] ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية،(تر. محمد يحياتن)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، د ت، ص34.

[4] kerbrat_Orecchioni_ L'implicite_ Armand Colin (paris). 1986. P39، نقلا عن: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص32.

[5] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص80.

[6] فتيحة بن عياد، مصطلحات التداولية بين المعجم والاستعمال، رسالة ماجستير، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، 2014-2015 ، ص26.

[7] فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية؛(تر.سعيد علوش)، د د، الرباط- المغرب، د ط، 1986، ص38.

فالإشارة في: أنا، أنت، هنا، تفهم من السياق ولا تتحقق إلاّ من خلال الاستعمال، وهي تستحضر المشار إليه إلى طرفي الخطاب، ووظيفتها المقاصدية تتصل بالسياق المخصوص بها؛ لتوضيح غاية المتكلم، وهي من جهة مؤكدات أي؛ تفيد التأكيد وكذا الاختصار في اللّفظ، وتتمثل في: الضمائر والموصولات وأسماء الإشارة والظروف ودلالات الأزمنة وألفاظ الأمكنة[1]، وقد صنفت في عدّة أنواع:

3-1- الإشاريات الشخصية: تتمثل في الضمائر الدّالة على المتكلّم وحده مثل (أنا) أو المتكلم ومعه غيره مثل (نحن)،و الضمائر الدالة على المخاطب مفردا أو مثنى أو جمعا، مذكرًا أو مؤنثًا وضمائر الغائب، سواءً أكانت متّصلة أم منفصلة.[2]

3-2 - الإشاريات الزمانية: وتمثلها ظروف الزمان بصورة عامّة "الآن، لحظة، بعد، ساعة، ... الخ "، فإذا لم يعرف الزمن التبس الأمر على المتلقّين، وقد تدّل العناصر الإشارية على الزمان الكونيّ والنّحويّ[3]، فالنحوي هو زمن الجملة والكوني؛ تمثله الظروف، وأسماء الوقت والزمن التي يكون تقديرها في العالم الخارجي.[4]

3-3 - الإشاريات المكانية: وتمثلها بصورة عامة ظروف المكان، ويعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم، وقت التكلّم، أو على مكان آخر معروف للخطاب أو للمخاطب والسامع، ولعلَّ أكثر الإشاريات المكانية الواضحة هي: هذا، ذاك، وظروف المكان؛ هنا ،هناك، تحت، فوق، وراء،...الخ فتحديدها لموقع التلفظّ يعدّ إسهاما في الخطاب، وتحديد المرجع المكاني يرتكز على تداولية الخطاب[5].

---

[1] ينظر: محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية التداولية " دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة – مصر، ط 1 ،2013، ص84.

[2] ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 17.

[3] ينظر: عبد الله جاد كريم، التداولية في الدراسات النحوية، ص 44.

[4] ينظر: النظرية البراجماتية اللسانية التداولية "دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ "، ص85.

[5] ينظر: المرجع السابق، ص45.

3- 4-الإشاريات الاجتماعية: وهي ألفاظ أو عبارات تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حيث هي علاقة رسمية أو غير رسمية(...)، فهذه الإشاريات هي التي تسهم في تحقيق إقامة التواصل في الخطاب وتعزز الثقة بين المتخاطبين من أجل إنجاح التخاطب أو الحوار[1].

إذن الإشاريات مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللّغوية التي تحيل مباشرة على المقام، من حيث وجود الذات المتكلّمة، أو الزمان أو المكان حيث ينجز الملفوظ الذّي يرتبط به معناه، فهي تعمل على تفسير الملفوظات في الخطاب ولا تتحدد دلالتها إلاّ من خلال سياقها[2].

4/ القصد"Intention"

القصد في اللسانيات التداولية أساس التواصل والتبّليغ فلا تواصل دون قصديّة إنها: « مصطلح عام لجميع الأشكال المختلفة التي يمكن أن يتوجّه بها، العقل أو يتعلّق نحو الأشياء أو الحالات الفعلية في العالم»[3]وقد ميّز سيرل بين القصد الذي يكون واعيا وبين المقصدية التي تكتنفها عدة قصود، و تنبني على مجموعة من الثنائيات: الوعي واللاوعي، اللّغوي وغير اللغوي، المقصدية الحاصلة أثناء العمل وتلك التي تحصل قبله، فتعدّ دراسة المقاصد والنوايا في الخطاب من أساسيات التداولية، لأن القصد يحدّد الغرض من أي فعل لغوي، فمقصدية المتكلم هي من أكبر القرائن على فهم غرض الكلام.[4]

إذنّ فالقصد عند التداولين لا يقف عند حدود المعنى الحرفيّ للخطاب، أو عند إنجاز الفعل بشكله اللّغوي المباشر، كما ورد عند (أوستين) و(سيرل) بل يتجاوز كل ذلك للتعبير عنه بالفعل اللغوي غير المباشر، فمثلا عندما يطرح الأستاذ على تلميذه هذا السؤال؛ **أتود أن تكتب الدرس؟** فإنه يبدوا لأوّل وهلة، أنّ هذا السؤال مطروح لمعرفة رغبة الطالب في كتابة الدرس، أو استشارته؛ وذلك حسب ما

---

[1] ينظر: المرجع السابق، التداولية في الدراسات النحوية، ص 45.

[2] ينظر: عماري محمد، مبادئ الدرس التداولي في التراث العربي" نظرية الخبر والإنشاء أنموذجا"، ص 50.

[3] جون سيرل، العقل واللّغة والمجتمع، (تر.سعيد الغانمي)، منشورات الاختلاف ، الجزائر، المركز الثقافي العربي، ط1، 2006، ص128.

[4] ينظر: المرجع السابق، ص 107-108-109.

يقتضيه المعنى المعجمي للمحمول(تودّ)، إلاّ أنه قد يستعمل هذا السؤال للدلالة على مقاصد كثيرة منها؛ دعوة الطالب إلى كتابة الدرس، أو أمره بطريقة مؤدبة، كما قد يخرج كذلك إلى المزاح، بل وإلى السخرية في بعض السياقات، كل هذه المقاصد كانت مبنية في أساسها على الخطاب اللغوي أولا، ثم عل معرفة عناصر السياق الذي أنجز فيه الأستاذ هذا الخطاب، التي سيوظفها التلميذ، كذلك في فهم المقاصد التي يريد أستاذه أن يبلغه إيّاها، وكذلك فهم التأثير الذي يريد أن يحققه، ومن أهم النظريات في الدراسات المعاصرة حول ذلك (نظرية مبدأ التعاون عند غرايس)[1].

5/السياق" Contexte"

يحتل السياق أهمية كبرى في التداولية، لأنه يعتبر سلما للعملية التواصلية حيث يحدد المعنى ويرسم له طريقا واضحا، لأنه يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، على الرغم من المعان التي في وسعها أن تدل عليها[2]؛ أي أن الكلمة عندما ترد باستعمالات مختلفة لا يتحدد معناها إلاّ بسياقها، كما أن مقاصد الخطاب لا نستطيع تحديدها وفهم معانيها إلاّ بالنظر في سياقها الذي وردت فيه، حيث نجد أن أوستين قد اهتم بالسياق إذ يقول: «فقد تناولنا هذه المسائل أي (السياق) على أنها مسائل استعمال فعل الكلامLocutionary usage ، إلاّ أننا قد تحققنا، وبطرق بعضها أفضل من بعض، بأن ما نستعمله من ألفاظ ينبغي أن نرجع في بيان معانيها ولغاية تأويلها إلى سياق الكلام ومقتضى الحال الذي وقع فيه تبادل التخاطب اللساني أو وروده فيه على وجه مخصوص»[3]، وقد تعددت أنواع السياق فمنها[4]:

5- 1- السياق الظرفي أو الفعلي: يشمل هوية المتخاطبين ومحيطهم زمانيا ومكانيا.

5 - 2 – السياق التداولي(الموقفي): يتضمن الغايات الممارسة خطابيا.

---

[1] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص 78- 79.

[2] ينظر: عبد الفتاح حمار، دلالة السياق في فهم النص (سورة يوسف أنموذجا)، رسالة ماستر، جامعة محمد خيضر- بسكرة ، 2015/2014، ص 17.

[3] ينظر: أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، ص120-121.

[4] ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص115.

5- 3 – السياق الاقتضائي: يرتبط بحدس المتخاطبين.

5- 4-السياق اللغوي (النّص المساعد): هو تسييق الكلمة المفردة داخل الجملة، وتسييق الجملة مع الجمل الأخر، أو بعبارة أخرى هو مجموع الكلمات التي تحدّد مدلول الكلمة.

5- 5-السياق غير اللّغوي: يتمثل في مجموع الظروف الاجتماعية التي تحدّد مدلول الخطابات.

ونجد هذا يتوافق مع رؤية أحمد المتوكل حول سياق الاستعمال الذي يجعل منه سياقين؛ سياقًا مقاليًا(السياق اللّغوي): الذي يقصد به مجموع العبارات المنتجة في موقف تواصلي معين، باعتبار أنّ عملية التواصل لا تتم بواسطة جمل بل بواسطة نص متكامل في غالب الأحوال، وسياقًا مقاميًا(السياق غير اللغوي): الذي هو مجموع المعارف والمدارك التي تتوافر في موقف تواصلي معين لدى كلّ من المتكلم والمخاطب.[1]

6/ الاستلزام الحواريّ:"L'implication conversationnelle "

هو أحد أبرز المفاهيم في الدرس التداولي، وتعود أولى بداياته إلى أعمال بول غرايس"Grice"[2] الذي لاحظ «أنّ المتخاطبين عندما يتحاورون، إنّما يقبلون ويتّبعون عددا معينا من القواعد الضمنية اللازمة لاشتغال التواصل، والمبدأ الأساسي هو "مبدأ التعاون"»[3].

وقد انطلق غرايس من فكرة مؤداها أن جُمل اللغات الطبيعية، تدلّ في غالب الأحيان على معان صريحة وأخرى ضمنية تتحدّد دلالتها داخل السياق الذي ترد فيه، ويتضح ذلك من خلال الحوار الآتي بين الأستاذين (أ) و(ب):

---

[1] ينظر: أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتدادات، دار الأمان، الرباط – المغرب، ط1 ، 2006، ص 22_ 23.

[2] غرايس (1913-1982م): فيلسوف إنجليزي ينتمي إلى أصحاب الفلسفة التحليلية بأكسفورد ،ومن مؤسّسي نظرية أحكام المحادثة وما أنجز من مفاهيم كالافتراضات المسبقة والأقوال المضمرة، ومن أعماله (logic and conversation).

[3] فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 84.

- الأستاذ (أ): هل الطالب(ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة؟

- الأستاذ (ب): إن الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز.

لاحظ "غرايس" أننا إذا تأملنا الحمولة الدلالية لإجابة الأستاذ (ب) وجدنا أنها تدل على معنيين اثنين في نفس الوقت، أحدهما حرفي؛ أن الطالب (ج) من لاعبي الكرة الممتازين، والآخر مستلزم أي؛ أن الطالب المذكور ليس مستعد لمتابعة دراسته في قسم الفلسفة، هذه الظاهرة يسميها غرايس بالاستلزام الحواري[1].

لوصف هذه الظاهرة يقترح غرايس نظريته المحادثية، التي تنص على أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام أسماه مبدأ التعاون بين المتكلم والمخاطب وهو مبدأ حواري يشتمل على أربعة مبادئ هي[2]:

1-مبدأ الكمْQuantity:اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه.

2- مبدأ الكيف Quality: لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح، ولا تقل ما ليس عندك دليل عليه.

3- مبدأ المناسبة relevance: اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع أي؛ (ذا علاقة بأقوال القائل السابقة وأقوال الآخرين).

4- مبدأ الطريقة manner: كن واضحا ومحددا: فتجنب الغموض obscurity، وتجنب اللبس ambiguity، وأوجز، ورتب كلامك.

إذن تتمركز فكرة الاستلزام الحواري حول طبيعة العلاقة بين المتكلم والمخاطب، وتحديد دلالات الخطاب عن طريق التفاعل بينها، وطريقة اكتشاف المخاطَب لمقصود المتكلم، وكذلك مجموعة المعان

[1] ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 33.

[2] ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 34.

الحقيقية الحرفية في خطابه، والمعان الأخرى غير الحرفية في خطابه[1].فثمة معان صريحة؛ "مدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها" يلقيها الباث، لا يتكلف المخاطب مشقة في الوصول إليها، وتشمل: المحتوى القضوي الذّي هو مجموع معان مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد، والقوة الإنجازية الحرفية، وهي القوة الدلالية المؤشّر لها بأدوات تصبغ الجملة بصبغة أسلوبية ما: كالاستفهام، والأمر، والنهي، والتوكيد، والنداء والإثبات والنفي...وثمة معان ضمنية لا تدلّ عليها صيغة الجملة بالضرورة، بل السياق هو الذي يحددها ويُوجّهها، وتضّم: معان عُرفية وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطاً وثيقا تلازم الجملة ملازمة في مقام معين، مثل معنى الاقتضاء[2]، ومعان حوارية أو(سياقية) تتولد طبقا للمقامات التي تنجز فيها الجملة، مثل الدلالة الاستلزامية[3].

7/ الحجاج"Argumentation"

يعتبر الحجاج مجالا من مجالات التداولية، فقد عرفه بيرلمان بأنّه: « درس تقنيّات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يُعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم»[4]، فغرض الحجاج عنده يتمثّل في تحقيق اقتناع المتلقي عقلا وعملا.[5] وذلك الإقناع لا يكون إلاّ عن طريق تقنيات قسّمها بيرلمان وزميلته تيتيكا إلى فئتين هما: تقنية الوصل وتقنية الفصل[6].

---

[1] ينظر: باسم خيري خضير، استراتيجيات الخطاب (مقاربة تداولية)، مؤسسة علوم نهج البلاغة، كربلاء – العراق، ط 1، 2017 ، ص 153.

[2] الاقتضاء عرفه غرايس"Grise. H.P" بأنه شيء يعنيه المتكلّم ويوحي به ويقترحه ولا يكون جزءاً ممّا تعنيه الجملة بصورة حرفية؛ أي أنّه المعنى غير المباشر الذي يودّ المتكلّم إيصاله للمتلقّي. ينظر: مختار درقاوي ،25 فيفري 2014،الآليات التداولية لتحليل الخطاب من وجهتي نظر الأصوليين والتداوليين المحدثين، قراءة التراث الأدبي واللغوي في الدراسات الحديثة ،جامعة الملك سعود السعودية_السعودية ، الندوة الدولية الثانية، ص 224 .

[3] ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 34-35.

[4] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت – لبنان، ط 2، 2007، ص 27.

[5] ينظر: شعبان أمقران، 24 جانفي 2018، تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شاييم بيرلمان، جامعة باجي مختار – عنابة ، مج: 5، ص 224.

[6] ينظر: عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، العدد التاسع، 2013، ص 280.

وقد ركّزا أكثر على طريقة الوصل[1] "الطرائق الاتصالية" وحصراها في ثلاثة أنواع من الحجج هي[2]:

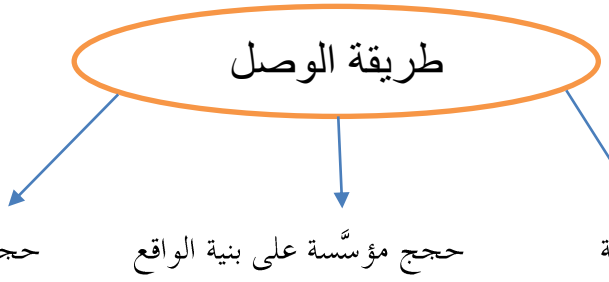

أمّا رؤية الحجاج عند ديكرو" O. Ducrot "وأنسكومبر"Anscombre" فكانت مختلفة عن مفهوم بيرلمان و تيتيكا، لأنه يقوم أساسا على اللغة بخلاف مفهوم بيرلمان القائم على تقنيّات وأساليب في الخطاب،[3]إذ يعرّفاه قائلين «إنّ المتكلّم إذ يُحاجُّ إنّما يقدّم قولاً أولا"ق1" أو مجموعة أقوال تقود إلى الإذعان والتسليم بقول آخر"ق2" أو مجموعة من الأقوال الأخرى»[4]، سواءٌ أكان (ق2) صريحا أم ضمنياً، وتكون (ق2) نتيجة لـــ (ق1) ويسميه فعلا كلاميا حجاجيا[5].

أهم مفاهيم نظرية الحجاج اللّغوي هي[6]:

1/ الحجة"Argument": هي عنصر دلالي يخدُم عنصراً دلاليا آخر.

2/ النتيجة: هي العنصر الدلالي المستهدف الوصول إليه.

---

[1] طريقة الوصل: يقصد بها الطرائق التي تقرّب بين العناصر المتباينة في أصل وجودها فتتيح بذلك قيام ضرب من التضامن بينها لغاية إبراز تلك العناصر في بنية واضحة.

طريقة الفصل: يقصد بها الفصل بين عناصر تقتضي في الأصل وجود وحدة بينها ولها مفهوم واحد.

[2] ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 32.

[3] عمر بوقمرة، نظرية الحجاج في اللغة في الدراسات العربية المعاصرة: الاستيعاب والممارسة، مجلة العاصمة، مجلة سنوية، كلية الجامعة تروننتبرم، كيرالا– الهند، مج: 9، 2017، ص 167.

[4] Ducrot (o) et A nscombre (J.C): Làrgumentation dans la langue. (éd.) Mardaga . 1997, p 8. نقلا عن: عزّ الدّين النّاجح، العوامل الحجاجيّة في اللّغة العربيّة، دار نهى، صفاقس- تونس، ط1، 2011، ص27.

[5] ينظر: مسعود صحراوي، محاضرات في البلاغة الجديدة، 3-12-2019.

[6] ينظر: نفسه، ساعة: 10.

3/ الرابط الحجاجي"Les Counecteurs ": هو العنصر الذي يربط بين الحجة والنتيجة ،أي هو الذي يقيم العلاقات الحجاجية بين الأقوال مثل(الواو، الفاء، لكن، إذن، حتى، لأنّ، بل، بما أنّ، إذ، إلاّ ،لا لاسيما،)

4/ **العوامل الحجاجية "Les Opérateurs**: هي كلمات أو تراكيب لا تربط بين الحجة والنتيجة ولكن تقوم بدور تقوية أو تقليص الإمكانات الحجاجية للخطاب مثل(تقريبا، ربما، قليلا، كاد، كثيرا،...)

5/ السلم الحجاجي: هو مجموعة من الملفوظات في سياق واحد مزوَّدة بعلاقة تراتبية وتعنى بشرطين هما:

أ/ كل قول يرد في درجة ما من السلم، يكون ,القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة إلى النتيجة(ن).

ب/ كل قول يقع في مرتبة من السلّم يلزم عنه ما يقع تحته بحيث يلزم من الطرف الأعلى جميع الأقوال التي تقع دونه.

رمز العزاوي للسلم الحجاجي كالتالي:

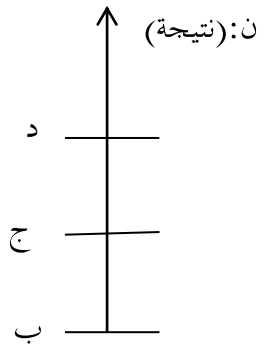

"ب" و"ج" و"د" : حجج وأدلة تخدم النتيجة "ن".[1]

[1] ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، الدار البيضاء- المغرب، ط1، 2006، ص 21.

يمكننا القول إنّه من خلال عرضنا لمفهوم الحجاج عند كل من بيرلمان وتيتيكا يمكننا إجراء مقاربة حجاجية تداولية، لأن هذه الأخيرة – المقاربة الحجاجية التداولية- توفر للنص التفسيري فضاءً للدرس والاكتشاف، وذلك عن طريق تحليل الروابط الحجاجية اللّغوية التي تتحكم في بنائه الظّاهري والباطني، مع البعد الإقناعي فيه؛ وهو البعد الذي يُعنى بدراسة مسار الحجاج انطلاقا من طرح الحجة إلى أن تؤتيَ أكلَها مع توضيح طريقة التلازم بين الحجج من حيث القوة والضعف، ومدى استجابة المتلقي لها، لأنه لا يمكن للخطاب التفسيري أن يشذّ عن الصفة الحجاجية للخطاب[1].

المبحث الثاني: القيم التداولية في كتب التفسير

أولا: مفهوم التفسير

لغة: مأخوذة من الفَسْرُ: البيان، فسر الشّيء يُفسِرُهُ بالكسر و يفسُره بالضّمِّ فسْرًا، وفسَّرهُ: أبَانَهُ، والتفسيرُ مِثلُهُ. وقوله عزوجل:﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان33].

الفسر: كَشْفُ المغَّطى، والتَّفسِيرُ: كَشْفُ المعنى المُرادِ عن اللَّفظِ المُشْكِلْ، والتأويلُ، ردُّ أخذ المحتملين إلى ما يطابق الظاهر.[2]

أما في الاصطلاح فقد أخذ مصطلح التفسير عدة تعريفات، تبدو متقاربة في المعنى وإن اختلفت في اللفظ، فكلها تُقر بأن التفسير علم يتمُّ به فهمُ القرآن، وبيان معانيه، والكشفُ عن أحكامه، وإزالة الإشكال والغموض عن آياته؛ فقد عرّفه الزركشي بأنه: «علم يفهم به كتاب الله المترل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه»[3]، وعرفه أبو حيان الأندلسي بأنه «

[1] ينظر: بومنقاش الرحموني، التفسير خطاب تواصلي (مقاربة تداولية)، جامعة لمين دباغين- سطيف، د ت، ص 11.

[2] جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، (تح: عبد الله علي وآخرين)، دار المعارف، القاهرة- مصر، ط1، 1119 ،ج(5)، ص 210- 211.

[3] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار التراث، القاهرة- مصر، ط 3، 1984 ،ج (1)، ص 13.

علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية و التركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك »[1].

يتميِّز علم التفسير بأنه علم تطبيقي فهو ملتقى للعديد من العلوم التي تقوم الحاجة ّإليها، ومن العلوم الضرورية للمفسر: العلم بقواعد التفسير، العلم بتاريخ القرآن، العلم باللغة العربية، العلم بالنحو والصرف، العلم بالبلاغة العربية؛ المعاني، البيان، البديع فَعَلَى المفسر أن يكون مطَّلعا على هذه العلوم البلاغية الثلاثة، عارفا بمباحثها وموضوعاتها ومسائلها لكي يتعرّف على ألوانِ وأفاقِ البلاغة القرآنية المعجزة ويتعرف على موضوعات علم المعاني القرآني، وأساليب البيان في القرآن، والبديع على ضوء القرآن، والتصوير الفني في القرآن، وخصائص التعبير القرآني[2].

ثانيا: القيم التداولية في كتب التفسير

1 – المقصدية:

القصد بالمفهوم التداولي لا يختلف كثيراً عن مفهومه عند المفسرين لأن الخطاب التفسيري في ارتباطه بالنّص القرآني يزخر بالمقصدية، وبالدلالات السياقية والتداولية والحجاجية، فكل ما في خطاب التفسير دال؛ ويحمل مقاصد ووظائف سياقية، سواء أدلَّ عليها اللفظ والنص بعينه أم دلَّ عليها مقام الخطاب الخارجي. وهذا يعني أن التفسير بوصفه كلاما وجملا وملفوظات لغوية يحوي مجموعة من المقاصد المباشرة أو الضمنية سواء أفصح عنها المفسر أم أضمرها المفسر له، أي إن الرسائل التي يمررها المفسر كالدفاع عن مذهبه، أو ترجيح رأي نحوي أو بلاغي، أو عرضه لقول صحابي أو غيرها من قصديات التفسير، تمثل مقاصد رئيسة في خطاب التفسير، أما تعاطف المتلقي مع مفسره، وتأييده فيما ذهب إليه

[1] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، (تح: صدقي محمد جميل) ، دار الفكر، بيروت – لبنان، 2010/1431، د ط ،(ج1)، ص26.

[2] ينظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، ط 3، 2008، ص 53- 56.

يمثل مقاصد ثانوية[1]، أي أن القصدية هي: « تلك الشبكة من الأفكار والقيم والرموز لهذا العلم أو ما يمكن تسميته بقاعدة توازنه الداخلي. إنها المفاتيح الأساسية المعتمدة بين الباث والمتلقي في بناء التفسير واستيعابه»[2].

وممّا هو معلوم أن مقاصد الشريعة مستنبطة من مقاصد القرآن الكريم، فالنص القرآني نص مقاصدي لأنه نزل للإفهام والتأثير في المتلقي، فهذا الرازي يعد كل ملفوظ خلا من القصد هذيانًا لا قيمة له وإن كان مضمونه صحيحا، فقال: إنّ الكلام المعتبر هو الذي يعتمد عليه، والذي لا يكون عن قلب ورؤية لا اعتماد عليه، ويظهر ذلك جليا عند مقارنته بين الفعلين الجسدي والقولي، فهو يرى أنّ الأول واقع حتى وإن لم يقصده فاعله، حيث يمكن إنجازه بحكم العادة وبدون وجود طرف ثانٍ. أمّا النوع الثاني فلا يكون ناجحا إلاّ إذا كان المتكلم قاصدًا لما يقوله، ومتوجهًا به إلى متلقٍ حاضر في الواقع".

وهذا يتقاطع مع الفكر التداولي من جهة أنّ الفعل الكلامي عبارة عن فعل تواصلي قصدي من الدرجة الأولى، قال الرازي" أما الذكر فهو مناجاة مع الله تعالى، فإمّا أن يكون المقصود منه كونه مناجاة أو المقصود مجرد الحروف و الأصوات، ولاشك في فساد هذا القسم فإنّ تحريك اللسان بالهذيان ليس فيه غرض صحيح، فثبت أنّ المقصود به المناجاة وذلك لا يتحقق إلا إذا كان اللسان معبّرا عمّا في القلب من التضرعات"[3]. بمعنى لا وجود للفعل الإنجازي بدون قصد المتكلم، ولا يكون كلامه خطابا ما لم يكن حاضرا بقلبه، فهذا الكلام يعد من صميم مبحث المقاصد في التداولية.

[1] بومنقاش الرحموني، التفسير خطاب تواصلي (مقاربة تداولية)، ص3 – 4.

[2] احميدة النيفر، الإنسان والقرآن وجها لوجه(التفاسير القرآنية المعاصرة) قراءة في المنهج، دار الفكر، سورية، 2000، ص 16.

[3] شريفة أحمد حسن القرني- صالح أحمد بايصيل، (يناير 2019)، [البعد القصدي لتداولية أفعال الكلام في الخطاب القرآني]، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جدة- المملكة العربية السعودية، العدد الأول، ص 111.

2- السياق:

لقد وضع المفسرون القدامى شروطا صادقة لمن أراد أن ينتظم في هذا العلم الجليل، وأكثر هذه الشروط يصب في السياق والمقام وما يحيط بالنّص القرآني من ظروف وملابسات لا بّد للمفسّر من الوعي بها قبل مباشرته تفسير النص القرآني الكريم وفهم دلالته ومعرفة أوجه الإعجاز القرآني على مستوى النظم واللفظ والدلالة وحسن بيان المقاصد، والأغراض(...) وغير ذلك مما يدخل في السياق اللغوي وما يتطلبه من استحضار النص القرآني جميعه عند تفسير بعضه، لأن القرآن يفسر بعضه بعضا.[1]

من بين هذه الشروط[2]:

أولا: على مستوى سياق الحال اشترطوا المعرفة بأسباب النزول والأحداث والوقائع الملابسة لنزول الآية أو النص القرآني.

ثانيا: اشتراطهم معرفة الناسخ من النسوخ، اهتمام المفسرين ببيان العلاقات التداولية الحاصلة بين آيات القرآن الكريم، متجاورة أو متباعدة.

ثالثا: اشتراطهم معرفة المناسبة القائمة في السور المعينة سواء أكانت المناسبة قائمة بين فاتحة السور وخاتمتها أو خاتمة ما قبلها، أو المناسبة بين السورة واسمها، أو المناسبة بين السورة والحرف الذي بنيت عليه(...) وغير ذلك من أسرار المناسبة في القرآن الكريم.

رابعا: معرفة ما كان على الإجمال، وما كان على التفصيل من الكلام.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أبرز المفسرين الذين اعتنوا بالسياق عناية ظاهرة، ورعوه حق رعايته وأنزلوه منزلته العالية في التفسير هم الذين اهتموا بقضايا البلاغة، واعتمدوا عليها في تفسير كتاب الله مثل

[1] ينظر، هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل، إربد- الأردن، ط1، 2007، ص 269.

[2] ينظر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص 270، 273.

الزمخشري في تفسيره" الكشاف"، والرازي في" مفاتيح الغيب"، وأبو حيان في" البحر المحيط"، وابن عاشور في" التحرير والتنوير" وغيرهم.

فقد تنبه المفسرون إلى أنه لا يمكن الفصل بين النص القرآني وسياقه الذي يعين على فهم المعاني الملبسة في الآيات القرآنية. وقد يتمثل هذا السياق عندهم في معرفة أسباب النزول(...)، وقد يعني التعالق والترابط بين الآيات، وقد يتمثل السياق لدى المفسر في نسق الآيات وما يصل بينها من روابط كالعطف والمضادة التي تظهر في ذكر الرحمة بعد العذاب، أو الرغبة بعد الرهبة، أو حسن التخلص، وهو الانتقال من مقام إلى آخر من غير شعور بالانقطاع، وترتيب الآيات.[1]

فالمفسرون اشتغلوا على السياق بنوعيه؛ السياق اللغوي المتمثل في العلاقات اللغوية والتركيبية والسياق المقامي الذي تمثل عندهم في أسباب النزول، كما أنهم تعاملوا مع النص القرآني باعتباره بنية متكاملة لا يمكن الوصول إلى الغرض المقصود منها ّإلا باستحضار جملة القرائن المكونة للموقف الكلامي فتنبهوا إلى القرائن بنوعيها: المعنوية والحالية، وأهميتها في تفسير الآي، وجعلوها مهمة كأهمية معرفة اللغة والنحو والصرف والبلاغة، لأن السياق هو الذي يفضي بك إلى معرفة غرض المتكلم، ويدلك على وجود الحذف في الآية، ومعرفة المحذوف، وهو الذي يفسر معاني الأدوات، وأحرف المعاني.[2]

ومما يؤكد عناية الزمخشري بالسياق في تفسيره "الكشاف"، تمكنه من اللغة والبلاغة، فقد صرح الزركشي بمنهجه وعنايته بالسياق فقال: "ولهذا ترى صاحب (الكشاف) يجعل الذي سيق له الكلام معتمدًا حتى كأن غيره مطروح". وغالب تناوله للسياق من جهة العناية بالروابط ووجوه العلاقة والتراكيب والإعراب[3].فمثال ذلك ما ورد في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا﴾[البقرة:25]. قال: «فإن قلت من المأمور

[1] ينظر: خلود عموش، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط 1، 2008 ، ص 129.

[2] ينظر: نفسه، ص 129.

[3] محمد الربيعة، [25/ 4/2007]، علم السياق القرآني (أبرز المفسرين عناية بالسياق)، المكتبة الشاملة الحديثة، ص 2.

بقوله تعالى:{ وبَشِّر}؟قلت: يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يكون كل أحد (...) وهذا الوجه أحسن وأجزل لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به. فإن قلت: علام عطف هذا الأمر و لم يسبق أمر ولا نهي يصح عطفه عليه؟ قلت :ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي يعطف عليه؛ إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين، فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين»[1].

وأكثر ما تظهر أهمية السياق عندما يلتبس المعنى، فالسياق هو الذي يزيل الإبهام، ويحدد الدلالة المقصودة عند تنوع دلالات اللفظ، فإنه من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فانظر إلى قوله تعالى ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[الدخان:49]، كيف تجد سياقه يدل على أنه(الذليل الحقير)؟!.[2]

يتناول ابن عاشور هذا السياق القرآني التهكمي بالتحليل الدقيق إذ يقول: «والذوق مستعار للإحساس وصيغة الأمر مستعملة في الإهانة. وقوله(إنك أنت العزيز الكريم) خبر مستعمل في التهكم بعلاقة الضدية. والمقصود عكس مدلوله، أي أنت الذليل المهان، والتأكيد للمعنى التهكمي»[3]، فهنا نلمح أن ابن عاشور اعتمد ملمح السياق في تفسير خروج الجملة القرآنية على خلاف مقتضى الظاهر، أي من المدح إلى إرادة الذم؟! وكيف عبّر عنها بقوله: (والمقصود عكس مدلوله) وهي جملة معبّرة عن مراعاة السياق في تفسير الآية القرآنية.

3- استثمار علم المعاني: إن اهتمام المفسرين بمعاني النحو في بعدها الاستعمالي، جعل من دراستهم دراسة وظيفية تداولية، ومن المفسرين الذين عُدّت دراستهم دراسة وظيفية تداولية؛ الزمخشري، وابن عاشور، والرازي والألوسي، وأبو حيان، والبيضاوي، وعائشة بنت الشاطئ، فمن بين القضايا التي درسوها في بعدها الاستعمالي الوظيفي لدينا:

---

[1] أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (تح. محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط4، 2006، مج(1)، ص 49.

[2] أسامة عبد العزيز جاب الله، السياق في الدراسات البلاغية والأصولية دراسة تحليلة في ضوء نظرية السياق، ص 9.

[3] محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، 1984، ج (25)، ص 316.

1- 3/ التقديم والتأخير: يقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[فاطر:28]،« فإن قلت: هل يختلف المعنى إذا قدم المفعول في هذا الكلام أو أخر؟ قلت: لا بدّ من ذلك، فإنك إذا قدمت اسم الله وأخرت العلماء كان المعنى :أنّ الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم، وإذا عملت على العكس انقلب المعنى إلى أنهم[لا]يخشون إلا الله، كقوله تعالى﴿ ولا يخشون أحدا إلا الله﴾ وهما معنيان مختلفان».[1]

يبدو هنا أن الزمخشري حلل الآية تحليلا وظيفيا ينبئ من خلاله عن المقصد أو الغرض من تقديم المفعول به، فقد تنبه إلى الفرق الدقيق الذي حصل في المعنى من خلال تقديم المفعول به(اللهَ) على الفاعل(العلماءُ). فالزمخشري يرجع الأغراض والمقاصد التداولية التي ينبني عليها التقديم والتأخر إلى السياق والنظم، فنراه في تحليله الملفوظات يتحدث عن المعنى الأصلي للملفوظ، والمعنى الذي ينبئ عليها لتقديم والتأخير، ثم يقارن بينهما، آخذا بالمعنى المقصود[2].

- وأما في تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمَ﴾[مريم:46]، يقول الزمخشري:« وقدم الخبر على المبتدأ، لأنه كان أهم عنده وهو عنده أعني، وفيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبته عن آلهته وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد ».[3]

وفي قوله تعالى ﴿لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَ نُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَ أَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾[الفرقان:49]، يقول الزمخشري: «فإن قلت: لم قدم إحياء الأرض وسقي الأنعام على سقي الأناسي؟ قلت: لأن حياة الأناسي

[1] الزمخشري، الكشاف، ج(5)، ص 154.

[2] ينظر: أمبارك بن مصطفى، المنحى التداولي في تفسير الكشاف للزمخشري، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2018/2017، ص 180.

[3] نفسه، ج(4)، ص 25.

حياة أرضهم، وحياة أنعامهم، فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم، ولأنهم إذا ظفروا بما يكون سقيا أرضهم ومواشيهم، لم يعدموا سقياهم»[1].

فالتقديم والتأخير عند الزمخشري قد أبان عن مقصدية المتلفظ، و لم يقتصر فيه على بيان الأهم وهو المقدم، وإنما يخرج إلى أغراض بلاغية تداولية عديدة تعرف من سياق الكلام.

وفي قوله تعالى ﴿يُسَبِّحُ لِلَهِ مَا فِي السَّماواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾[التغابن:1]، يقول الزمخشري: «قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لأن الملك على الحقيقة له، لأنه مبدئ كل شيء ومبدعه، والقائم به، والمهيمن عليه وكذلك الحمد، لأن أصول النعم وفروعها منه، وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء، وحمده اعتداء بنعمة الله جرت على يده»[2].

فتقديم الظرف في هذه الآية كان لأجل غرض تداولي وهو الاختصاص، ليدل على أن الملك والحمد من اختصاص الله سبحانه وتعالى لا يشاركه فيه أحد من عباده، ولهذا فإن تقديم الظرف أدى إلى غرض ومقصد، ولو أخر الظرف لما حصل هذا المعنى ولا ما أبان المتلفظ عن قصده.

قوله تعالى ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَّابَهُمْ (25)ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ(26)﴾[الغاشية]، يقول البيضاوي في تفسيرها « وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة في الوعيد»[3].

قوله تعالى ﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[البقرة:15]، يقول ابن عاشور:« ولأجل اعتبار الاستئناف قُدم اسم الله تعالى على الخبر الفعلي. و لم يقل يستهزئ الله بهم لأن مما يجول في خاطر السائل أن يقول من الذي يتولى مقابلة سُوء صنيعهم؟ فاعلم أن الذي يتولى ذلك هو رب العزة تعالى، وفي ذلك تنويه بشأن المنتصر

[1] الكشاف، ج(4)، ص 361.

[2] الكشاف، ج(6)، ص 130.

[3] ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 308- لبنان، ط 1، د ت، ج (5)، ص 308.

لهم وهم المؤمنون كما قال تعالى ﴿إنَّ الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ فتقديم المسند على الخبر الفعلي هنا لإفادة تقوية الحكم لا محالة ثم يفيد مع ذلك قصر المسند إليه... فإن تقديم المسند إليه على المسند الفعلي في سياق الإيجاب يأتي لتقوية الحكم وللقصر»[1]،إنّ تفسير ابن عاشور للآية تفسير وظيفي تداولي، وذلك من خلال إصراره على أن القصر جاء لمعنى تداولي يقتضيه المقام، وهو تقوية الحكم وتوكيده[2].

وفي تفسير الرازي لقوله تعالى:﴿وَقُولوا آمَنَّا باللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلينَا وَمَا أُنْزِلَ إِلى إبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيل ...﴾ [البقرة:135]، قال:« أمّا قوله "قُولوا آمَنَّا باللهِ" فإنّما قدمه لأنّ الإيمان بالله أصل الإيمان بالشرائع فمن لا يعرف الله استحال أن يعرف نبيًا أو كتابًا»[3].

إذن لم تخرج دلالة التقديم والتأخير عند هؤلاء المفسرين عن السياق والمقام، فدلالة التقديم والتأخير عندهم توحي بأغراض تداولية متباينة، كالاهتمام والتخصيص والتوكيد، وتقوية الحكم...، كما أنهم اعتبروا التقديم والتأخير آلية تبرز مدى مرونة الاستعمال اللغوي، حيث يعطي المتلفظ الكثير من البدائل والخيارات للتعبير عن أغراضه ومقاصده، وذلك في ضوء مراعاتهم لظروف التلفظ وأحواله ومقتضياته[4].

2- 3/ الحذف: وهو من الألوان البلاغية الذي ينطوي على بعض الأسرار التي يستلزمها المقام، وقد اعتنى المفسرون بدراسته، لأنه يؤدي دورا مهما في صنع التناسب في النص القرآني، ومنه قوله تعالى ﴿كُلوا واشربوا من رزق الله﴾[البقرة:60]، قال الرازي:« فيه حذف، والمعنى فقلنا لهم أو قال لهم موسى كلوا واشربوا وإنما قال كلوا لوجهين أحدهما لما تقدم من ذكر السمن والسلوى فكأنه قال كلوا من المن والسلوى الذي رزقكم الله بلا تعب ولا نصب واشربوا من هذا الماء والثاني أن الأغذية لا تكون إلا بالماء فلما أعطاهم الماء فكأنه تعالى أعطاهم المأكول والمشروب»[5].

---

[1] التحرير والتنوير، ج(1)، ص 293.

[2] ينظر: مسعود صحراوي، المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي، مجلة الدراسات اللغوية، أبريل-2003م، ص 39.

[3] فخر الدين محمد الرازي ، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 2، 1981، ج (4)، ص 83.

[4] ينظر: أمبارك بن مصطفى، المنحى التداولي في تفسير الكشاف للزمخشري، ص 184.

[5] الرازي، مفاتيح الغيب، ج (3)، ص 97.

ومن أمثلة الحذف كذلك ما أورده ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى ﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[الزخرف: 89]، قال:« حُذِفَ مفعولُ "تعلمون" للتهويل لتذهب نفوسهم كل مذهب ممكن»[1].

وما أورده الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلاَ تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة:70] «حيث حذفت اللام من جعلناه، لأن ــ لو ــ دخلت على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تعلق الجزاء بالشرط، و لم تكن مخلصة للشرط كإن ولا عاملة مثلها، وإنما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث إفادتها في مضموني جملتيها، إن الثاني امتنع لامتناع الأول»[2]، فهنا ينبه الزمخشري إلى مواطن الحذف مبينًا أسرارها وما تحمله من جمالية وإبداعية في توخي معاني النحو، بحيث يكشف أسرار التراكيب داخل السياق، ويوضح موضع الحذف ليصل إلى الأفهام وتتشكل الصورة بإطار يزيد من حسنها وجمالها.[3]

ومن أمثلتها ما أورده الألوسي في تفسيره لقوله تعالى ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة:160]، قال: أي رجعوا عن الكتمان أو عنه وعن سائر ما يجب أن يتاب عنه بناء على أن حذف المعمول يفيد العموم، وفيه إشارة إلى أن التوبة عن الكتمان فقط لا يوجب صرف اللعن عنهم ما لم يتوبوا عن الجميع فإن للعنهم أسبابا جمة وأصلحوا ما أفسدوا بالتدارك فيما يتعلق بحقوق الحق والخلق، ومن ذلك أن يصلحوا قومهم بالإرشاد إلى الإسلام بعد الإضلال وأن يزيلوا الكلام المحرف ويكتبوا مكانه ما كانوا أزالوه عند التحريف وبينوا[4].

---

[1] التحرير والتنوير، ج(25)، ص 274.

[2] الزمخشري، الكشاف، ج (4)، ص 75.

[3] ينظر: عبد القادر دايد، أثر السياق في ترجيح دلالة النص لدى الزمخشري" الكشاف أنموذجا"، رسالة ماجستير، جامعة أحمد بن بلة- وهران، 2018/2017، ص 176- 177.

[4] شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (تح. علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، ج (1)، ص 426.

3- 3/ التعريف والتنكير: من الظواهر اللغوية التي اهتم بها المفسرون في بعدها الاستعمالي الوظيفي، حيث درسوا الأغراض التي يؤديها التعريف والتنكير، ومن النماذج التي تثبت ذلك ما يلي:

قول ابن عاشور عند تفسيره للآية الكريمة ﴿أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[159]: «والتعريف في (اللاعنون) للاستغراق وهو استغراق عرفي أي يلعنهم كل لاعن...واعلم أنّ لام الاستغراق العرفي واسطة بين لام الحقيقة ولام الاستغراق الحقيقي. وإنّما عدل إلى التعريف مع أنه كالنكرة مبالغة في تحققه حتى كأنه صار معروفا لأن المنكر مجهول، أو يكون التعريف للعهد أي يلعنهم الذين لعنوهم من الأنبياء الذين أوصوا بإعلان العهد وأن لا يكتموه».[1]

وكذا تفسيره لقوله تعالى ﴿وَإِذْ آتَيْنَا موسى الكِتاب والفرقانَ لعلكم تهتدون﴾[البقرة:91]: «والمراد من "الكتاب" التوراة التي أوتيها موسى فالتعريف للعهد»[2]، فالتعريف بال أغنانا عن ذكر التوراة لما عهدناه مما أوتيه موسى عليه السلام.

ومن الوظائف التي يؤديها التنكير وظيفة؛ التعميم كما في قوله تعالى ﴿واتَّقُوا يَوْمًا لا تُجْزى نَفْسٌ عن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾[48]، يقول الألوسي: «وتنكير النفس في الموضعين للتعميم».[3]

ومنه فإنّ اهتمام المفسرين بتحديد نوع التعريف مربوط غالبا بالمقام، فحين يحدد الزمخشري نوع التعريف في قوله تعالى ﴿الّذينَ كَفَرُوا﴾ يرى أنه «يجوز أن يكون للعهد وأن يراد بهم ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة، وأن يكون للجنس متناولا كلّ من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم»[4]. ويتساءل البيضاوي عن سر تنكير(صيب)، وتعريف(السماء) في قوله تعالى﴿أو كَصَيِّب من السماء فيه ظلمات وبرق ورعد﴾[19]، قال:« وتنكيره لأنه أريد به نوع من المطر شديد،

[1] التحرير والتنوير، ج(2)، ص 68- 69.
[2] التحرير والتنوير، ج(2)، ص 501.
[3] الألوسي، روح المعاني، ج(1)، ص251.
[4] الزمخشري، الكشاف، ج(1)، ص 47.

وتعريف "السماء" لدلالة على أن الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فإن كل أفق منها يسمى سماء كما أن كل طبقة منها سماء،... أمد به ما في الصيب من المبالغة من جهة الأصل والبناء والتنكير»[1].

إنّ مجرد السؤال عن التعريف والتنكير في سياق دون آخر هو تصريح بصدور المفسر عن هذا الأصل. وهو علاقة النص اللغوي بالمقام الاجتماعي، ثم إنّ تخطي القاعدة النحوية أو إعمالها في سياق دون آخر يجعل الأمر غير مرتبط بالمستوى اللّغوي فقط وإنّما يتجاوزه إلى ما يحيط بممارسة اللغة وهو الظرف الاجتماعي أو المقام الذي يُعرف في التداولية بسياق الموقف.[2]

وقد يكون التعريف لتخريج النص مخرج العموم كما أورد الرازي في تفسيره للآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[البقرة:21]، إنّ لفظ الجمع المعرف بلام التعريف يفيد العموم، ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشّطك لتقديم ما قدّموا، ويثّبطك عن الطمع الفارغ، والرجاء الكاذب[3]. فهنا إشارة إلى أنّ التعريف والتنكير من العناصر التي تقوّي غرض الخطاب، ودلالته.

4- 3/الفصل والوصل: يُعدُّ من المواضيع التي تناولها المفسرون البلاغيون بالتحليل والدراسة، وذلك من خلال وقوفهم على الوظائف البلاغية التي يؤديها الفصل والوصل، وتختلف هذه الوظائف حسب مقامات الكلام وظروف الخطاب، وهذا ما تهتم به الدراسات التداولية، ومن النماذج التي توضح هذه الوظائف نذكر:

1-الفصل: ما أورده ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾[البقرة:16] « وفصلت الجملة عن التي قبلها لتفيد تقرير معنى(ويمدهم في...) فمضمونها بمنزلة التوكيد، وذلك ممّا يقتضي الفصل، ولتفيد تعليل مضمون جملة(ويمدهم) فتكون استئنافا بيانيا لسائل عن

[1] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج (1)، ص 51.

[2] ينظر: الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، خلود عموش، ص 320.

[3] الرازي، مفاتيح الغيب، ج(4)، ص 46.

العلة»[1]. وظيفة الاستئناف في الآية توكيد وتعليل ما ورد في الآية السابقة. وكذلك في قوله تعالى﴿ الّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم باللَّيلِ والنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَّةً فَلَهُمْ أَجْرُهُم عِندَ رَبِّهِم وَلاَ خَوْفَ عَلَيْهِمْ ولاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[274]«جملة مستأنفة تفيد تعميم أحوال فضائل الإنفاق بعد أن خصص الكلام بالإنفاق للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله...»[2]، وظيفة الاستئناف في الآية هي الإشارة إلى التفصيل والتوضيح والإضافة.

ومنه كذلك قول الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى ﴿قَالَ كَلاَّ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا مَعَكُم مُسْتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء:15]،«فإن قلت على ما عطف قوله –فاذهبا–؟ قلت على الفصل الذي يدل عليه–كلا–، كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت وهارون»[3].

ومنه ما ذكره الألوسي في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاء إِنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[نور:45]، فقد فصلت جملة "يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاء" وجملة "إِنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" عن سابقتها وفي ذلك زيادة التقرير والتثبيت أن الله سبحانه تعالى ذو القدرة، فهنا الفصل أدى وظيفة التأكيد والتقرير.[4]

2–الوصل: من وظائف الوصل التبليغية؛ إبراز المعطوف ووضعه موضع الاهتمام، تقرير المعنى، التوكيد، منح المعطوف نوعا من الاستقلالية...إلخ[5]، ونشير هنا إلى بعض النماذج التي ذكرها ابن عاشور.

---

[1] التحرير والتنوير، ج (1)، ص 297.

[2] نفسه، ج (3)، ص 77.

[3] الزمخشري، الكشاف، ج (2)، ص 88.

[4] رضوان باكيز، المقاييس البلاغية في تفسير روح المعاني للألوسي، رسالة دكتوراه، جامعة القرويين، مراكش، 2014/2013، ص 63.

[5] الطاهر الشارف، المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2006/2005، ص 89.

- ﴿ وَمَثَلُ الّذينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمىٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:171]،« وإنما عطفه بالواو هنا و لم يفصله... لأنه أريد هنا جعل هذه صفة مستقلة لهم في تلقي دعوة الإسلام ولو لم يعطفه لما صحّ ذلك»[1]، يؤدي الوصل هنا وظيفة الاستقلالية والتميز.

- ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصّيَامَ إِلى الّلَيلِ﴾[البقرة:187]، «واعلم أن ثم في عطف الجمل للتراخي الرتبي وهو اهتمام بتعيين وقت الإفطار»[2]، الوصل هنا للاهتمام بوقت الإفطار.

- ﴿واللهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً واللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[268]، «عطف على جملة (الشَّيطانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ) لإظهار الفرق بين ما تدعو إليه وساوس الشيطان وما تدعو إليه أوامر الله تعالى»[3]، استعمل الوصل في الآية كوسيلة للتمييز بين الوعدين.

4- الحجاج: يعدُ الخطاب القرآني نصا حجاجيا بامتياز لكونه جاء ردا على خطابات سواء أكانت علنية أم ضمنية، فهو يطرح أمرا أساسيا يتمثل في وجوب الإيمان بالله الواحد الأحد ويقدم الحجج المدعمة لهذا الأمر بمستويات مختلفة ضد ما يعتقد المتلقون وما يقدمون من حجج، ويرجع التأكيد على الصفة الحجاجية للقرآن إلى كون المتلقين لهذا الخطاب كثرا، وهم من مستويات مختلفة[4].

وتتجلى العلاقة بين آي القرآن وبين الدرس الحجاجي في أن القرآن بوصفه كلاما دالا على ذاته ودالا على مبدعه، يضع نفسه في قلب التواصل اللساني، فعملية الكلام في الخطاب القرآني تحتوي على

[1] التحرير والتنوير، ج(2)، ص 111.
[2] نفسه، ص 184.
[3] التحرير والتنوير، ج(3)، ص 60.
[4] ينظر: قدور عمران، البعد التداولي في الخطاب القرآني الموجه لبني إسرائيل، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2009/2008، ص 33.

عناصر التواصل الثلاثة: المتكلم، الخطاب، المستمع، وهو يتضمن دلالة الكلام على منشئه، ودلالة الكلام على ذاته، ودلالة الكلام على متلقيه مع الأخذ بعين الاعتبار جلال المرسل في الخطاب القرآني.[1]

ومن المباحث الحجاجية التي اهتم بها المفسرون تناسب الآيات، واهتمامهم بالآليات الحجاجية البلاغية وذلك من خلال تطرقهم لدراسة الصور البيانية من استعارة وتشبيه وكناية والكشف عن أسرارها التعبيرية ولطائفها البيانية، وما تحمله الآية من حمولات بلاغية في ألفاظها، وعمّا يمكن أن تؤديه من معان وظيفية وقيم بلاغية لها تأثير واضح في السياق التواصلي المصاحب لأغراض التعبير القرآني؛ إذ تعتبر هذه الصور البيانية «من الأساليب والآليات الفنية البلاغية ذات البعد الاستراتيجي الذي يغذي الكلام ويطعمه بمقومات وومضات تداولية حجاجية بالدرجة الأولى »[2].

فالاستعارة مثلاً هي إحدى العناصر التي تندرج ضمن الحجج المؤسسة على بنية الواقع ، أما التشبيه فيعدُّ من أبرز أساليب الحجاج والإقناع، فقد استخدمه القرآن الكريم كمعيار للصدق والدّقة في التعبير بالصورة لإبراز المعاني المجرّدة في صور حسية رائعة وموجزة لها وقعها في النّفس[3]، وسنحاول إبراز هذه الآلية البلاغية التي أفاضوا في بيانها واستثمارها، من ذلك تفسيرهم لقوله تعالى ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَىَ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[البقرة:7] .

حيث يقول الزمخشري في تفسيرها أن الختم على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار من باب المجاز ويحتمل أن يكون استعارة أو تمثيل. أمّا الاستعارة، فأن تجعل قلوبهم لأن الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص إلى ضمائرها من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده. وأسماعهم لأنها تمجه وتنبو عن الإصغاء إليه وتعاف استماعه كأنها مستوثق منها بالختم، وأبصارهم لأنها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين كأنما غطي وحجبت، وحيل بينها وبين الإدراك. وأمّا

[1] خلود العموش، الخطاب القرآني في دراسة العلاقة بين النص والسياق، ص 145.

[2] واضح أحمد، الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2012 ص 290.

[3] ينظر: عيسى تومي، الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني- سورة البقرة أنموذجا-، ص 151.

التمثيل فأن تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية[1].

وقول أبو حيان الأندلسي في تفسيرها: «وظاهر قوله تعالى ﴿ختم الله﴾ أنه إخبار من الله تعالى بختمه وحمله بعضهم على أنه دعاء عليهم، وكنى بالختم على القلوب عن كونها لا تقبل شيئًا من الحق ولا تعيه لإعراضها عنه، فاستعار الشيء المحسوس للشيء المعقول، أو مثل القلب بالوعاء الذي ختم عليه صونًا لما فيه ومنعًا لغيره من الدخول إليه، والأول مجاز الاستعارة، والثاني مجاز التمثيل»[2].

ومما ورد في تفسيرها لدى الشوكاني قوله: «المراد بالختم والغشاوة هنا هما المعنويان لا الحسيان أي: لما كانت قلوبهم غير واعية لما وصل إليها، والأسماع غير مؤدية لما يطرقها من الآيات البينات إلى العقل على وجه مفهوم، والأبصار غير مهدية للنظر في مخلوقاته وعجائب مصنوعاته، جعلت بمنزلة الأشياء المختوم عليها ختمًا حسيًا، والمستوثق منها استيثاقًا حقيقيا، والمغطاة بغطاء مدرك استعارة أو تمثيلاً»[3].

أما الألوسي فيقول: « يجوز أن يكون في الكلام استعارة تمثيلية بأن يقال شبهت حال قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم مع الهيئة الحادثة فيها المانعة من الاستنفاع بها بحال أشياء معدة للانتفاع بها في مصالح مهمة مع المنع من ذلك بالختم والتغطية ثم يستعار للشبه اللفظ الدال على المشبه به فيكون كل واحد من طرفي التشبيه مركبا والجامع عدم الانتفاع بما أعد له»[4].

ولذا يمكن القول إن تفاسير هؤلاء المفسرون كانت غنية بالآليات البلاغية؛ من استعارة، وكناية وتشبيه، ومجاز...الخ، فهي "وسائل بلاغية من حيث إنها تساهم في الإمتاع والتأثير، ولكنها أيضا

---

[1] ينظر: تفسير الكشاف، مج (1)، ص 57.

[2] محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 3، 2010، ج (1)، ص 175.

[3] محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدّراية من علم التفسير، مراجعة: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت- لبنان ، ط 4 ، 2007، ج (1)، ص 29.

[4] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج (1)، ص 132.

حجاجية من حيث أنها تعبر عن حجج بطريقة مركزة مع جعلها أكثر تأثيرا وإصابة"[1]، لأنّ طبيعة الخطاب الحجاجي تقتضي أن يقوّيَ طرحه بالاعتماد على الأساليب البلاغية والبيانية التي تُظهر المعنى بطريقة أجلى وأوقع في النفس[2].

5- مراعاة الخطاب والمخاطَب: لقد تمثل المفسرون مفهوم الخطاب، ورأوا في الرسالة اللّغوية التي يحملها النصّ القرآني خطابًا متكامل الأجزاء، ونظروا في الوظيفة التواصلية للنصّ باعتباره خطابا من المرسِل سبحانه وتعالى إلى العباد(المرسل إليهم) عبر قناة للاتصال وهي اللّغة، وهذه الرسالة تحمل مضمونًا هو موضوع الخطاب، وتهدف إلى إحداث تغيير في حياة المخاطبين، كما أنّ له أهدافًا أخرى، ونظروا كذلك في ترتيب الخطاب وتنظيمه، وعلاقاته وأجزائه وتناسبها، وما يعتريه من ظواهر سياقية[3].

فإذا نظرنا إلى بعض ما ذكره الرازي في هذا المقام نجده يقول في تعليقه على الآية:﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ قال:« القائلون بأنه لا يجوز تأخير بيان المجمل عن وقت الخطاب قالوا: إنّما جاء الخطاب في قوله" وأقيموا الصلاة" بعد أن كان النبيّ- صلى الله عليه وسلم...»، وقال في موضع آخر "و الأقرب أنّ المخاطبين هم بنوا إسرائيل لأنّ صرف الخطاب إلى غيرهم يوجب تفكيك النظم".[4]

كما حظي المخاطب باهتمام المفسرين أيضا، فقد أدرك المفسرين أنّ الغاية الأسمى للنص القرآني هي التأثير في المتلقين، إذ لا يتصورون أن يكون هناك نص دون قارئ أو متلقي، لأننا إذا نظرنا إلى المخاطَبين في النص القرآني وجدنا دائرتهم تتسع فهو يخاطب المؤمن والكافر والفرد والجماعة والناس كافة وتختلف فيه استراتيجيات التخاطب باختلاف المخاطَب[5].

---

[1] ينظر: المنحى التداولي في تفسير الكشاف للزمخشري، ص 252 ، نقلا عن صابر الحباشة، التداولية والحجاج، ص 456.

[2] صابر الحباشة، التداولية والحجاج مدخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، سورية- دمشق، ط 1، 2008، ص 50.

[3] ينظر: خلود العموش، الخطاب القرآني في دراسة العلاقة بين النص والسياق، ص 249.

[4] الخطاب القرآني في دراسة العلاقة بين النص والسياق، ص 250.

[5] ينظر: المنحى التداولي في تفسير الكشاف للزمخشري، ص 197.

فمثلا إذ نظرنا إلى تفسير الكشاف ندرك أنه قد تنبه إلى هذه المسألة وأهميتها في التعامل مع الخطاب القرآني فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى﴿ يَأَيُّهَا الّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الْذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الْذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾[النساء:136]، ذهب في تفسيره لهذه الآية على ثلاث اعتبارات تخضع جميعها للمخاطَب ويكون المعنى فيها تبعا له. فإذا كان المخاطَب هم المسلمون فمعنى الآية: اثبتوا على الإيمان وداوموا عليه وازدادوه، وإذا كان المخاطَب هم أهل الكتاب، فالمعنى: أتموا إيمانكم لأنهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض. وأما إذا كان المخاطَب هم المنافقون، فالمعنى: أخلصوا في إيمانكم كأنه قال: يا أيها الذين آمنوا نفاقا آمنوا إخلاصا.[1]

وفي قوله تعالى﴿ يَأَيُّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُواْ بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الحديد:28]يرى الزمخشري أن الخطاب إذا كان موجه للمؤمنين من أهل الكتاب فالمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد وصدقوا به وبكتابه، وأما إذا كان موجه للمؤمنين، فإن المعنى يكون: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأطيعوا رسوله واثبتوا على إيمانكم به.[2]

إذن فالخطاب القرآني يراعي حال المخاطبين ويسعى إلى التأثير فيهم، كما يعبر عن المقصد الذي يريد المتكلم إيصاله، فهو ذو علاقة مباشرة بثقافة المتلقين وواقعهم وأحوالهم، ولابد من ذلك ليتم الاتصال بين المرسل والمتلقي، وتحقق الرسالة.[3]

6- الأفعال الكلامية في أساليب الكلام:

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ من القيم التداولية الموجودة في كتب التفسير التي ذكرناها سابقا، تناولهم لدراسة الأغراض البلاغية التي تخرج إليها الأساليب الخبرية والإنشائية، فقد يخرج الخبر إلى الإنشاء وإلى

[1] ينظر: الكشاف، ج (1)، ص 163.

[2] ينظر: الكشاف، ج(6)، ص 53.

[3] ينظر: المنحى التداولي في تفسير الكشاف للزمخشري ، ص 198.

أغراض أخرى تستشف من قصود المتكلم وأحوال السياق؛ إذْ اعتبروا أن معرفة المعاني الأصلية لكل أسلوب، وما تخرج إليه من أغراض بلاغية تدرك من السياق، وهذا ما يُعرف في الدرس التداولي بالأفعال الكلامية.

ومن بين الشواهد التي يمكن الاعتداد بها في هذا الصدد، قوله تعالى﴿ والوالداتُ يُرْضِعْنَّ أَولادهُنَّ حَوْلَينِ كامَلين﴾[البقرة: 232]، «ففي هذه الآية الكريمة يوجد انتقال واضح من أسلوب الخبر إلى أحد الأساليب الإنشائية الطلبية وهو الأمر، فالظاهر في البنية التنظيمية أن الله يخبرنا بأن الوالدات يرضعن أولادهن لمدة حولين كاملين، ولكن المتمعن والمفسر لهذه الآية إنما يعتبر أنها جاءت في سياق الأحكام الشرعية، وهو بهذا التفسير إنما يعاد بمسائل خارجة عن نسق الجملة؛ كسبب النزول والقرائن المادية والمعنوية التي أحاطت بتلك الآية الكريمة، ليستلزم في الأخير أنها تفيد الأمر»[1]، وهو نفس ما ذهب اليه الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى{ يرضعن} يقول في أنه خبر في معنى الأمر المؤكد[2].

وكذلك في قوله تعالى ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ﴾[البقرة:228]، فجملة{المطلقات يتربَّصن}خبرية مراد بها الأمر، وهذا ما نجده في تفسير الزمخشري إذ يقول:« فإن قلت: فما معنى الإخبار عنهن بالتربص؟ قلت: هو خبر في معنى الأمر»[3]، فقد تضمن ملفوظ الآية قوة إنجازيه مباشرة تمثلت في فعل الإخبار، وقوة إنجازيه غير مباشرة هي؛ الأمر الموجه إلى المطلقات بالتربّص ثلاثة قروء، وهي الفكرة نفسها التي تحدث عنها غرايس في الدّرس التداولي والتي مفادها: أنّ جمل اللغات الطبيعية يمكنها أن تدّل على معنى غير المعنى الذي نستخلصه من معناها الحرفي، وعليه نكون هنا بصدد فعلين كلاميين هما[4]:

- فعل كلامي مباشر: هو دلالة الجملة على الخبر المنصوص عليها حرفيا في قوله تعالى:﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ﴾.

[1] الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري، ص 260.

[2] الكشاف، مج (1)، ص275 .

[3] الكشاف، مج (1)، ص 267.

[4] ينظر: عيسى تومي، الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني، ص 92.

- فعل كلامي غير مباشر: يتضمن قوة إنجازية غير مباشرة؛ وهو الأمر.

نستخلص في الأخير أن كتب التفسير هذه قد احتوت على قيم تداولية تجسدت في المقصدية والسياق والحجاج وذلك من خلال تطرقهم لشرح الآليات الحجاجية من استعارة وتشبيه. ومراعاة معاني النحو في بعدها الاستعمالي من ذلك؛ قضية التقديم والتأخير والتعريف والتنكير...الخ وتفسير سبب ذلك وكذا دراستهم للأفعال الكلامية من خلال تطرقهم إلى الأغراض التي يخرج إليها الخبر والإنشاء، وهذه القيم نجد بعض المفسرين لم يتطرقوا إليها وهذا ما سنتناوله في المبحث التالي.

المبحث الثالث: تباين مواقف الاستثمار البلاغي في كتب التفسير

تباينت تفاسير العلماء في القرآن الكريم إلى مواقف عدة فمنها من أعرض عن البلاغة ومنها من كان مقلاً في اعتماده على البلاغة، ومنها من اهتم بالجوانب البلاغية والجوانب الوظيفية، وفيما يلي توضيح لذلك:

1/ موقف المقلين: يُقصد بهم أولئك الذين انصرفوا عن توظيف البلاغة في تفاسيرهم لسبب عدم تبلور موضوعاتها بعد، ويمثله فريقان؛ فريق" المفسرين الملتزمين بالمأثور"، وهم الذين شغلهم تفسير كتاب الله بالنقل من الأسانيد الصحيحة، ومنهم البغوي في "معالم التنزيل" وأبو الليث السمرقندي في "بحر العلوم" و أبو إسحاق الثعالبي في" الكشف والبيان عن تفسير القرآن الكريم" وجعفر بن جرير الطبري في" جامع البيان عن تأويل آي القرآن"[1]، ومن أمثلة الاستعمال المُقل للبلاغة فيما يتصل بعلم المعاني عند هؤلاء المفسرين ما ذكره السمرقندي في تفسيره لقوله تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرآنَ تَنْزِيْلاً﴾[

[1] ينظر: الطيب دبة، البلاغة في كتب التفسير بين الضوابط التوصيف العلمي وتحريات الاستثمار الوظيفي، جامعة الأغواط، ص1.

الإنسان:23]" يعني أنزلنا عليك القرآن تنزيلا يعني إنزالا فالمصدر للتأكيد"[1]، وقول البغوي في تفسير قوله تعالى﴿قالت رسلهم أفي الله شك﴾[إبراهيم:10]«هذا استفهام بمعنى نفي ما اعتقدوه»[2].

والفريق الثاني: فريق "المفسرين النحاة" وهم الذين تخصصت تفاسيرهم في معاني القرآن وإعرابه ومن هؤلاء المفسرين: أبو حمزة الكسائي، وأبو الحسن الأخفش، وأبو جعفر النحاس، وأبو إسحاق الزجاج ويرجع سبب انشغالهم عن البلاغة إلى عنايتهم بدراسة قضايا النحو، لكن لا بّد من الإشارة إلى أنّ انصرافهم يقع في ما يتصل بعلميّ البيان والبديع، أمّا في ما يخص دراسة معاني الأساليب فنجد أن لهم إشارات مهمة في مسائل البلاغة فيما يتصل بعلم المعاني؛ مثل أساليب التقديم والتأخير، الحذف، التعريف والتنكير وغيرها، لأنّ دراسة هذه الأساليب عُدّت فيما بعد موضوعا لعلم المعاني[3].

2/ موقف المكتفين بتوسيمات الوصف العلمي لظواهر البلاغة: يقصد بهم المفسرين الذين اكتفوا بتحديد الظاهرة البلاغية وشرحها شرحا بسيطا لا يبلغ أن يكون استثمارًا وظيفيًا، ومن هؤلاء المفسرين نذكر؛ ابن جزي الغرناطي في التسهيل، والصاوي في حاشية تفسير الجلالين، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن[4].

ومن أمثلة ما أورده هؤلاء المفسرون الذين اكتفوا بتوصيف الظواهر البلاغية؛ قول القرطبي (ت 671هـ) في تفسير قوله تعالى:﴿وأخْفِضْ لَّهُمَا جَنَاحَ الذُّلّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾[الإسراء: 24] «هذه استعارة في

[1] أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن ابراهيم السمرقندي، بحر العلوم، ج (3)، (تح. علي محمد معوض-عادل أحمد عبد الموجود)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 1، 1993، ص 432.

[2] أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، (تح.محمد عبدالله النمر وآخرين)، دار طيبة، الرياض- السعودية، د ط، 1411هـ، مج (4)، ص 338.

[3] ينظر: الطيب دبة، البلاغة في كتب التفسير بين ضوابط التوصيف العلمي وتحريّات الاستثمار الوظيفي، ص 11.

[4] ينظر: نفسه، ص 12.

الشفقة والرحمة بهما، والتذلّلُ لهما تذلُّلَ الرعيةِ للأمير، والعبيدِ للسادة وضَرَبَ خَفْضَ الجناح ونصبَه مثلاً لجناح الطائر حين ينتصب بجناحه لولده»[1].

وقول الغرناطي(ت741هـــــ) في تفسير قوله تعالى ﴿يا بَنِي ءَادَمَ قَدْ أنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِى سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[الأعراف: 26] «{رِيشًا}أي لباس الزينة وهو مستعار من ريش الطائر {ولِبَاسُ التَّقْوَى} استعار للتقوى لباسًا كقولهم ألبسك الله قميص تقواه»[2]، ومن أمثلته كذلك قول الصاوي(ت 1241هـــــ) في تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾[مريم:4]:«و"اشتعل" استعارة تبعية حيث شبه انتشار الشيب باشتعال النار في الحطب واستعير الاشتعال للانتشار واشتق منه اشتعل بمعنى انتشر والجامع ان كلا يضعف ما نزل به وأعاد الضمير على الرأس».[3]

إنّ هذا الموقف البلاغي قد وجد سبيله إلى الظهور في الفترة التي عرفت فيها الصياغة العلمية لمفاهيم البلاغة مرحلة من النضج والاستقرار، لذا كانت دراسة هؤلاء المفسرين منصرفة عمّا يمكن أن تثيره ظواهر البلاغة من خصوصيات تعبيرية ومعان توسيعية لا يمكن للصياغة العلمية أن تحققها، فهم محصورين بالنظر إلى قوانينها النموذجية من حدود وأنواع وتقسيمات، لذلك فاتهم أن يسدوا حاجة التفسير إلى مظهر بارز من مظاهر المعنى القرآني، الذي لا يمكن تحقيقه إلاّ من خلال الاستثمار الوظيفي الذي يقوم على مراعاة خصوصيات التعبير القرآني، وإبراز توجيهاته السياقية والمقامية، وبما يخدم أغراضه التواصلية من حيث هو خطاب حمال لأوجه.[4]

---

[1] أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمّنه من السنة وآي الفرقان، (تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي و آخريْن)، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط 1، 2006، ج (13)، ص 59 .

[2] أبو القاسم محمد بن أحمد بن جُزيّ الكلبي، التسهيل لعلوم التّنزيل، (ضبطه. محمد سالم هاشم)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 1، 1995، ج (1)، ص 298- 299.

[3] أحمد الصاوي المالكي، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، المطبعة الأزهرية، مصر، ط 1، 1926، ج (3)، ص 27.

[4] ينظر: الطيب دبة، البلاغة في كتب التفسير بين ضوابط التوصيف العلمي وتحرّيات الاستثمار الوظيفي، ص 12- 13.

3/ موقف المحتفين بالاستثمار الوظيفي لظواهر البلاغية

ترجع بواكير الاستثمار الوظيفي للبلاغة في كتب التفسير إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنه وأبو عبيدة (ت210) في كتابه مجاز القرآن الذي يُعدّ أول تفسير للقرآن متمحض للاهتمام بالاتجاه اللّغوي البياني[1] حيث أشار فيه إلى بعض الظواهر البلاغية التي تداولها الدارسون بعد ذلك مقرونة بأمثلتها القرآنية التي نوه هو بها، من ذلك ما يعرف باسم ايجاز الحذف، أو المجاز المرسل ذي العلاقة المحلية[2] في قوله تعالى ﴿واسألِ القَرْيَةَ الّتِي كنَّا فِيها والعير التي أَقْبَلنَّا فيها﴾[يوسف:82] فقد قال عنها أبو عبيدة أنها من مجاز ما حُذف وفيه مضمر، فهذا محذوف فيه ضمير مجازه: وسل أهل القرية، ومن في العير[3].

ثم مع ظهور تفسير الكشاف للزمخشري(ت538) تبدأ مرحلة التأسيس العلمي لتناول البلاغة في كتب التفسير تناولا بيانيا وظيفيا إجرائيًا، مبني على أسس علمية متوخيا في ذلك ربطها بمعاني النحو وبظاهرة الإعجاز، ومن بين المفسرين الذين ساروا على نهج الزمخشري، نذكر؛ أبو حيان الأندلسي في "البحر المحيط"، و الرازي في" مفاتيح الغيب"، وأبو السعود في "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم" والبيضاوي في "أنوار التنزيل أسرار التأويل"، و الشوكاني في " فتح القدير"، و الالوسي في " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني"، و ابن عاشور في" التحرير والتنوير"[4].

وفيما يلي بعض نماذج التفسير الوظيفي لقضايا البلاغة لدى هؤلاء المفسرين؛ ومن أبرزها ظاهرة التقديم والتأخير، من ذلك تفسيرهم لقوله تعالى ﴿**قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا**﴾[الملك: 29].

يقول الزمخشري في تفسيرها:" فإن قلت لِمَ أُخر مفعول آمنّا وقدم مفعول توكّلنا؟ قلت: لوقوع آمنَّا تعريضًا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم، كأنه قيل: آمنَّا ولم نكفر كما كفرتم، ثم قال: وعليه توكّلنا

---

[1] ينظر: المرجع السابق، ص5.

[2] شفيع السيد، البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر، د ط، 1987، ص.18

[3] أبو عبيدة معمر بن المُثنى التيمي، مجاز القرآن، (تع: محمد فؤاد سزكين- مكتبة الخانجي)، القاهرة- مصر، د ط، د ت، ص 8.

[4] ينظر: الطيب دية، البلاغة في كتب التفسير بين ضوابط التوصيف العلمي وتحريات الاستثمار الوظيفي، ص 14و15و16و17.

خصوصاً لم نتكِّل على ما أمنتم متكلمون عليه من رجالكم وأموالكم".[1]، وممّا ورد في تفسيرها لدى الرازي قوله:« والمعنى أنه الرَّحمن آمنَّا بِهِ وعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فيعلم أنه لا يقبل دعاءكم وأنتم أهل الكفر والعناد في حقنا مع أنا آمنَّا به و لم نكفر به كما كفرتم، ثم قال ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَاّ﴾ لا على غيره كما فعلتم أنتم حيث توكَّلتم على رجالكم وأموالكم، وقرئ فستعلمون على المخاطبة، وقرئ بالياء ليكون على وفق قوله ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الكَافِرِينَ﴾» [2]، أمّا البيضاوي فيقول في تفسيرها:«﴿قُلْ هُوَ الرّحْمَنُ﴾ الذي أدعوكم إليه مولي النعم كلها.(آمنّا بِهِ) للعلم بذلك(وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا) للوثوق عليه والعلم بأنَّ غيره بالذات لا يضر ولا ينفع، وتقديم الصلة للتخصيص والإشعار به.»[3].

ويقول ابن عاشور في تفسيره للآية: « وتقديم معمول(توكلنا) عليه لإفادة الاختصاص، أي توكلنا عليه دون غيره تعريضا بمخالفة حال المشركين إذ توكلوا على أصنامهم أشركوها في التوكل مع الله (...)، إنما لم يقدم معمول(آمنّا) عليه فلم يقل: به آمنا، لمُجرد الاهتمام إلى الإخبار عن إيمانهم بالله لوقوعه عقب وصف الآخرين بالكفر في قوله(فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) فإن هذا جواب آخر عن تمنّيهم له الهلاك سُلك به طريق التبكيت، أي هو الرحمان يجيرنا من سوء ترومونه لنا لأننا آمنا به و لم نكفر به كما كفرتم، فلم يكن المقصود في إيراده نفي الإشراك وإثبات التوحيد.

إذ الكلام في الإهلاك والإنجاء المعبّر عنه بـــــ{رَحِمَنا} فجيء بجملة{ ءامنا} على أصل مجرد معناها دون قصد الاختصاص، بخلاف قوله{ وعليه توكلنا} لأن التوكل يقتضي منجيا وناصرا، والمشركون متوكلون على أصنامهم وقوتهم وأموالهم، فقيل: نحن لا نتكل على ما أنتم متكلون عليه، بل على الرحمان وحده توكلنا»[4].

---

[1] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج(6)، ص178.

[2] محمد الرازي فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار الفكر، د د، ط 1، 1981، ج (30)، ص76.

[3] ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي، أنوار التنزيل أسرار التأويل، دار إحياء التراث العربي ،بيروت- لبنان، ط 1، 1998، ج (5)، ص 232.

[4] تفسير التحرير والتنوير، ج (29)، ص54-55.

نلاحظ أن هذه النصوص التفسيرية تضمنت استثمارا بلاغيا وظيفيا؛ كان له أثر كبير في خدمة المعنى وتوضيحه؛ فقد تم فيها التطرق إلى ظاهرة التقديم والتأخير وأهميتها في تقييد وتخصيص المعنى، بينما هناك كتب أخرى لا تراعي هذا التخريج الوظيفي من ذلك مثلا نجد في تفسير النسفي الذي يقول في تفسيرها:«{قُلْ هُوَ الرحمن} أي: الذي أدعوكم إليه الرحمن{ءامَنَّا بِهِ} صدّقناه، و لم نكفر به كما كفرتم {وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا} فوّضنا إليه أمورنا»[1]، وفي تفسير ابن كثير يقول:« أي: آمنا برب العالمين الرحمن الرحيم وعليه توكلنا في جميع أمورنا، كما قال:﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[هود:123]»[2].

هنا تجدر الإشارة إلى أن التفسير الوظيفي الذي ابتدأ على يد الزمخشري، قد كان له امتداد على يد مجموعة من اللّغويين المحدثين الذين أصروا أن يكون لبحوثهم اللّغوية حضور في علم التفسير، فنجدهم قد ساهموا في تطوير مشروع التفسير الوظيفي الذي أصبح يُسمى بالتفسير البياني للقرآن الكريم[3]، وقد تميز هذا التفسير بتناوله لظواهر البلاغة من حيث هي أساليب مفتوحة تشير إلى لمسات بيانية تعبيرية خاصة، وإذ ما حاولنا تحديد بداية هذا المنهج التفسيري فنجد أن الريادة فيه كانت على يد الشيخ أمين الخولي في كتابه" مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب" ثم طُورت معالم هذا المنهج و صياغته علي يد تلاميذه الذين اشتغلوا بقضايا التفسير البياني كفاضل صالح السامرائي، و بن عاشور، وعائشة بنت الشاطئ[4].

---

[1] أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النَّسفيِّ، تفسير النسفي "مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، (تح. يوسف علي بديوي)، دار الكَلِم الطّيّب، بيروت- لبنان، ط 1، 1998، ج (3)، ص 517.

[2] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (تح. سامي بن محمّد السلامة)، دار طيبة للنشر، الرياض- السعودية، ط 2 ، 1999، ج (8)، ص 182- 183.

[3] التفسير البياني هو التفسير الذي يبين أسرار التركيب في التعبير القرآني، فهو جزء من التفسير العام تنصب فيه العناية على أسرار التعبير من الناحية الفنية كالتقديم والتأخير والذكر والحذف واختيار لفظة على أخرى وما إلى ذلك مما يتعلق بأحوال التعبير. ينظر: فاضل صالح السامرائي، على طريق التفسير البياني ج (1)، ص7.

[4] ينظر: الطيب دبة، البلاغة في كتب التفسير ، ص 18.

ومن أمثلة اللمسات البيانية الدقيقة للقرآن الكريم تفسير عائشة بنت الشاطئ في قوله تعالى ﴿**ما ودَّعَكَ رَبُّكَ ومَا قَلَى**﴾[الضحى: 3] فقد ردّت بعض ما ورد من تفسيرات في بيان سبب حذف ضمير الخطاب في "قَلَى" وجدها بعيدة أو لا تناسب السياق كقول الزمخشري: «هو اختصار لفظي، لظهور المحذوف»[1].

وقول أبو حيان؛ أن الحذف للاختصار وكذا قول النيسابوري أن سبب الحذف، هو رعاية الفاصلة: والضحى سجى ..وقال مثل ذلك في الآيات بعدها: فآوى، فهدى ... فأغنى، وقول الرازي " في أن حذف الكاف للإطلاق؛ أي أنه ما قلاك ولا أحدا من أصحابك، ولا أحدًا ممن أحبك إلى يوم القيامة، فنجدها تقول في تعليل الحذف برعاية الفاصلة «أنه ليس من المقبول عندنا أن يقوم البيان القرآني على اعتبار لفظي محض، وإنما الحذف لمقتضى معنوي بلاغي، يقويه الأداء اللفظي، دون أن يكون الملحظ الشكلي هو الأصل»[2].

ولَّما انتهت من مناقشتها لهذه التفاسير نجدها قد أدلت بما ارتضته بيانا لحذف الضمير في الآية لافتة النظر إلى معنى خفي جميل،[3]حيث قالت: « ويبقى القول بأن الحذف لدلالة ما قبله على المحذوف، وتقتضيه حساسية معنوية مرهفة، بالغة الدقة في اللطف والإيناس، هي تحاشى خطابه تعالى لحبيبه المصطفى في مقام الإيناس: ما قلاك. لما في القلى من الطرد والإبعاد وشدة البغض. أما التوديع فلا شيء فيه من ذلك.. بل لعل الحس اللغوي فيه يؤذن بالفراق على كره، مع رجاء العودة واللقاء»[4].

من خلال ما سبق يتضح لنا أن تفسير عائشة بنت الشاطئ قد تجاوز النظر في الدلالات السطحية للألفاظ، إلى تذوق أسرارها البلاغية والكشف عن المعاني العميقة التي تحملها، وما تنطوي عليه الألفاظ

[1] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج (6)، ص 391.

[2] عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط 7، د ت، ج 1، ص 34 .

[3] الطيب دبة، البلاغة في كتب التفسير، ص 18.

[4] التفسير البياني للقرآن الكريم، ص 35.

القرآنية من معاني بلاغية في خفاياها وأسرار بيانية ولطائف إعجازية وهذا ما لا يُتَوَصَلُ إليه إلا بمراعاة خصوصيات التعبير القرآني.

الفصل الثاني: القيم التداولية في تفسير التحرير والتنوير

المبحث الأول: التعريف بالمؤَلِف والمؤلَف

1_ التعريف بصاحب التفسير" محمد الطاهر ابن عاشور"

2_ التعريف بتفسير التحرير والتنوير

المبحث الثاني: تجليات القيم التداولية في تفسير التحرير والتنوير

1_المقصدية

2_ السياق

3_ استثمار علم المعاني:

3_1. التقديم والتأخير

3-2. الحذف والذكر

3_3. التعريف والتنكير

4_ الحجاج

الفصل الثاني: القيم التداولية في تفسير التحرير والتنوير

تمهيد:

إنّ القرآن الكريم نص لغوي معجز، فيه ما يصعب على العقل البشري حصره من المقاصد والمعاني، لذلك نجد الكثير من الباحثين والدارسين تطرقوا إلى دراسة الخطاب القرآني، والتعمق في معانيه وأسراره والكشف عن المقاصد الإعجازية المتضمنة فيه.

سنتطرق في هذا الفصل المعنون بالقيم التداولية في التحرير والتنوير إلى استخراج وتحليل القيم التداولية الواردة فيه، وقبل البدء باستخراج القيم نقوم بتعريف موجز لصاحب التفسير" محمد الطاهر بن عاشور" وتفسيره التحرير والتنوير.

المبحث الأول: التعريف بالمؤَلِف و المؤلَف:

1/ التعريف بصاحب التفسير "محمد الطاهر بن عاشور"

هو الإمام محمد الطاهر بن عاشور، ولد في تونس سنة 1879م وتوفي في تونس سنة 1973م[1]، قال عنه الزركلي: « محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عين(عام 1932) شيخا للإسلام مالكيًا، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنفات مطبوعة من أشهرها: "مقاصد الشريعة الإسلامية"، و"أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"، و"التحرير والتنوير"».[2]

[1] ينظر: منصور كافي، مناهج المفسرين في العصر الحديث بين النظرية والتطبيق، ص 140.

[2] خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط 15 ، 2006، ج (6)، ص174.

2/ التعريف بتفسير التحرير والتنوير

يعتبر تفسير التحرير والتنوير من أهم الأعمال العلمية الإسلامية في العصر الحديث، اسمه "تحرير المعنى السّديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد"، وقد ابتدأ الشيخ الطاهر بن عاشور تفسيره بتمهيد واف قدم فيه هدفه من هذا التفسير، حيث قال: « أقدمت على هذا المهم إقدام الشجاع، على وادي السّباع ؛ متوسطاً في معترك أنظار الناظرين. وزائرا بين ضُباح الزائرين، فجعلت حقا على أن أبْدى في تفسير القرآن نكتا لم أر من سبقني إليها، وأن أقف موْقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها، فإن الاقتصار على الحديث المُعاد، تعطيل لفيض القرآن الذي ماله من نفاذ»[1].

فهنا يشير محمد الطاهر ابن عاشور إلى أن التمسك بما كتبه الأقدمون تعطيل لإعجاز القرآن وتجميد لحكمه، لذا أراد أن يبدي في تفسيره نكتا لم يسبقه إليها أحد.

كذلك نجده قد أشار في تمهيده للتفاسير التي اعتمدها في تفسيره، حيث قال: « وإن أهم التفاسير " تفسير الكشاف" و"المحرر الوجيز" لابن عطية و" مفاتيح الغيب" لفخر الدين الرازي، وتفسير البيضاوي(...) وتفسير الشهاب الألوسي،(...) وتفسير أبو السعود، وتفسير القرطبي، وتفسير ابن جرير الطبري، وكتاب "درة التنزيل" المنسوب لفخر الدين الرازي، ولقصد الاختصار أعرض عن العزو إليها».[2]

نلاحظ أن هذه التفاسير التي تعد بمثابة المراجع الأساسية التي اعتمدها في تفسيره تتميز؛ بأنها تفاسير وظيفية راعت الظواهر البلاغية أي؛ تتبعت أسرار البيان ، وتجاوزت النظر في الألفاظ إلى دراسة ما تنطوي عليه من خفايا المعاني وأسرار البيان ولطائف الإعجاز[3].

---

[1] تفسير التحرير والتنوير، ج (1)، ص 6 -7 .

[2] نفسه، ج(1)، ص7.

[3] ينظر: الطيب دبة، البلاغة في كتب التفسير بين التوصيف العلمي وتحرّيات الاستثمار الوظيفي، ص 14.

ثم أشار بعد ذلك إلى أنّ تفسيره لم يكن تكرارا لسابقيه، بل ذكر فيه ما لم يذكروه، فقال: «وقد ميزت ما يفتح الله لي من فهم في معاني كتابه وما أجبله من المسائل العلمية، مما لا يذكره المفسرون، وإنما حسبي في ذلك عدم عثوري عليه فيما بين يديّ من التفاسير في تلك الآية خاصة، ولست أدعي انفرادي به في نفس الأمر، فكم من كلام تنشئه تجدك قد سبقك إليه متكلم، وكم من فهم تستظهره وقد تقدَّمك إليه متفهّم».[1]

كما نبَّه على أن فن البلاغة لم يخصه أحد من المفسرين بكتاب كما خصوا أفانين القرآن الأخرى، و لم يعط حقه القدر الذي ينبغي بما يستحقه من العناية الكاملة، فهو من أولويات اهتمامه؛ لأنها أولى ميزات إعجاز القرآن التي تحدى الله بها أمة الفصاحة والبيان، ومن أجل ذلك اختصَّ تفسيرَه بدقائقِ البلاغة؛ أي أن هدفه الأساسي إبراز الجانب البلاغي، حيث قال:

«إنّ معاني القرآن ومقاصده ذات أفانين كثيرة بعيدة المدى مترامية الأطراف موزّعة على آياته فالأحكام مبينة في آيات الأحكام ، والآداب في آياتها، والقصص في مواقعها، وربما اشتملت الآية الواحدة على فنين من ذلك أو أكثر. وقد نحا كثير من المفسرين بعض تلك الأفنان، ولكنّ فنًا من فنون القرآن لا تخلو عن دقائقه ونكته آية من آيات القرآن، وهو فن دقائق البلاغة هو الذي لم يخصه أحد من المفسرين بكتاب كما خصُّوا الأفانين الأخرى، من أجل ذلك التزمتُ أن لا أغفل التنبيه على ما يلوح لي من هذا الفن العظيم في آية من آي القرآن كلّما ألهمته بحسب مبلغ الفهم وطاقة التدبّر».[2]

كما نجده قد أشار إلى محتوى تفسيره ومنهجيته التي اعتمدها في تتبع وتفسير كل ما يتعلق بالآيات والسور، فقال: «وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضًا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض،(...) و لم أغادر سورة إلاّ بيّنت ما

[1] التحرير والتنوير، ج (1)، ص 7- 8.
[2] نفسه، ج(1)، ص 8.

أُحيطُ به من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورًا على بيان مفرداته ومعاني جُمله كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله».[1]

وفي الأخير نجده قد امتدح تفسيرَه بقوله: « ففيه أحسنُ ما في التفاسير، وفيه أحسنُ ممّا في التفاسير»[2]،وقد أتبَع كلامه عن تفسيره بعشرِ مُقدِّمات يراها عوناً للباحث في التفسير ألا وهي:

المقدمة الأولى: في التفسير والتأويل، وكون التفسير علما .

المقدمة الثانية: في استمداد علم التفسير.

المقدمة الثالثة: في صحَّة التفسير بغير المأثور، ومعنى التفسير بالرأي ونحوه.

المقدمة الرابعة: فيما يَحِقُّ أن يكون غرض المفسِّر.

المقدمة الخامسة: في أسباب النزول.

المقدمة السادسة: في القراءات.

المقدمة السابعة: في قصص القرآن.

المقدمة الثامنة: في اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها.

المقدمة التاسعة: في أنَّ المعاني التي تتحمَّلها جُمَلُ القرآن تُعتَبرُ مرادةً بها.

المقدمة العاشرة: في إعجاز القرآن.

[1] ينظر، نفسه، ج(1)، ص 8.

[2] التحرير والتنوير، ج(1)، ص 9.

هنا نستنتج أنَّ هذا التمهيد الذي ابتدأ به الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور تفسيره ينطوي على قيم تداولية تتمثل ؛ في دراسته لأساليب الاستعمال، والأغراض وتركيزه على المقاصد وكذلك السياق الذي يتمثل في أسباب النزول، وهذا ما سنحاول توضيحه في المبحث الثاني.

المبحث الثاني: تجليات القيم التداولية في التحرير والتنوير

إنَّ عناية الشيخ الطاهر محمد ابن عاشور بعلوم البلاغة بصورة حية تجديدية، والمعاني تحديدا جعلت تفسيره غنياً غاية الغنى بمفردات التحليل التداولي، ذلك أنَّ تعاطي وجوه المعنى بتقليب النظر في أساليب الخطاب في صلتها بمقاصد صاحب الخطاب والمخاطبين والمتلقين للوحي وسياقات التنزيل في تقاطعها مع سياقات الفهم والتأويل، كل هذا جعل القارئ يطمئن إلى هذه الحقيقة ولا يرتاب في ذلك ولا يشك[1].

ومن القضايا التي اعتنى بها محمد الطاهر ابن عاشور، وتعد ذات قيمة تداولية تناوله للآيات القرآنية واعتبارها نصًا واحدًا، وكذا اهتمامه ببيان وجه الاتصال أو المناسبة بين الآيات في سورها، وهذا ما وضحه إدريس مقبول في مقال له حيث قال:« لا نكاد نغفل ونحن نقرأ التحرير والتنوير أن نشير بالخصوص إلى اهتمام الشيخ الطاهر ابن عاشور بتقديم الرؤية الشمولية الكلية في تناول آيات القرآن باعتبارها نصاً واحدا وجملة واحدة، وهو أمر بالغ الأهمية في الدراسات التداولية التي عنيت بتحليل الخطاب المعاصر من خلال ظاهرتي الانسجام والاتساق النصيين.وقد أولاهما الشيخ الطاهر بن عاشور عناية فائقة من باب بحث المناسبات والتعالقات القائمة بين أجزاء النص الكبير»[2].

وفيما يلي نتعرض لأهم القيم التداولية المبثوثة في تفسير الطاهر ابن عاشور:

[1] ينظر: إدريس مقبول، [التحليل التداولي عند الطاهر ابن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير]، بحوث المؤتمر الدولي حول الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر –رؤية معرفية منهجية، المعهد العالمي الإسلامي، ط1، 2011، ص 357.

[2] إدريس مقبول، (21/ يونيو/ 2010)، التحليل التداولي عند ابن عاشور، ص 2،7ماي2020، شبكة ضياء للمؤتمرات و الدراسات والأبحاث.

1_ المقصدية:

يؤكد ابن عاشور في المقدمة الثانية من تفسيره أن من مطالب التفسير« معرفة جميع مراد الله من قرآنه »[1]، كما يذهب إلى أن « القرآن أنزله الله تعالى كتابا لصلاح أمر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم، قال تعالى:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيانًا لِكُلّ شيءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى للمُسْلِمِينَ﴾[النحل: 89] فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية»[2]، فمعرفة المراد هي نفسها معرفة القصد والمقصد، وهذه المعرفة من جملة ما تتقصاه الدراسات التداولية.

وكما هو معروف أن مقاصد الشريعة مستنبطة من مقاصد القرآن الكريم، يقول ابن عاشور في مقدمته الرابعة(فيما يحق أن يكون غرض المفسر) أنه يجب «معرفة المقاصد التي نزل القرآن لبيانها حتى تستبين لكم غاية المفسرين من التفسير على اختلاف طرائقهم، وحتى تعلموا عند مطالعة التفاسير مقادير اتصال ما تشتمل عليه، بالغاية التي يرمي إليها المفسر فتتزنوا بذلك مقدار ما أوفى به من المقصد، ومقدار ما تجاوزه»[3]، فالنص القرآني نص مقاصدي بالدرجة الأولى؛ لأنه نزل للإفهام والتأثير في المتلقي ولتغيير الواقع، وهذا الكلام ينطبق على مفهوم القصد عند التداوليين الذي ينص على أن الكلام لا عبرة له إلا بآثاره، وأفعاله الإنجازية[4].

ومن آيات اهتمام ابن عاشور ببحث القصد التداولي، حديثه عن تنوع أشكال ورود القصة الواحدة في القرآن بما قد يحمل على استشكال تكرارها، يقول: «ومنها أن يكون بعض القصة المذكور في موضع مناسبا للحالة المقصودة من سامعيها، ومن أجل ذلك تجد ذكرا لبعض القصة في موضع وتجد ذكرا لبعض آخر منها في موضع آخر؛ لأن فيما يذكر منها مناسبة للسياق الذي سيقت له، فإنها تارة

---

[1] التحرير والتنوير، ج(1)، ص 20.

[2] التحرير والتنوير، ج(1)، ص 38.

[3] نفسه، ص 38.

[4] ينظر: عائشة صالح أحمد يابصيل، (يناير 2019)، البعد القصدي لتداولية أفعال الكلام في الخطاب القرآني، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، جامعة جدة- المملكة العربية السعودية، العدد الأول، ص 112.

تساق إلى المشركين، وتارة إلى أهل الكتاب، وتارة تساق إلى المؤمنين، وتارة إلى كليهما، وقد تساق للطائفة من هؤلاء في حالة خاصة، ثم تساق إليها في حالة أخرى.

وبذلك تتفاوت بالإطناب والإيجاز على حسب المقامات ألا ترى قصة بَعْثِ موسى كيف بُسِطت في سورة طه، وسورة الشعراء. وكيف أوجزت في آيتين في سورة الفرقان:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَه أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا(35) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيْرًا(36)﴾[الفرقان: 35-36] ومنها أنه قد يقصد تارة التنبيه على خطأ المخاطبين فيما ينقلونه من تلك القصة، وتارة لا يقصد ذلك»[1].

من خلال تحليله هذا نلاحظ البعد التداولي في تفسير ابن عاشور، لأن تحليله راجع في كل أنحائه إلى التوجيه برعاية القرآن الكريم لأحوال المخاطبين النفسية، وأوضاعهم ومواقفهم، مما يُحكى لهم ويخاطبون به في آي الكتاب الحكيم[2].

2- السياق:

اعتمد محمد الطاهر ابن عاشور في دراسته للنص القرآني، وفهم دلالته على السياق بنوعيه؛ السياق اللغوي الكلي أو ما يُسمى بسياق النص، والسياق المقامي، إذ نظر إلى الآيات القرآنية على أنها جزء من نص متكامل هو القرآن الكريم، فنجده قد اعتبر السياق الركيزة الأساسية للكشف عن معاني القرآن الكريم و بيان مقاصده وأغراضه، وذلك من خلال معرفة أسباب النزول لأنَّ لها دوراً بارزاً في إزالة غموض مقاصد الآي، حيث قال ابن عاشور:« إن من أسباب النزول ما ليس المفسر بغنى عن علمه لأن فيها بيان مجمل أو إيضاح خفي وموجز، ومنها ما يكون وحده تفسيراً. ومنها ما يدلُّ المفسرَ على طلب

[1] التحرير والتنوير، ص 69.

[2] ينظر: التحليل التداولي عند الطاهر ابن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير، ص 372.

الأدلة التي بها تأويل الآية أو نحو ذلك (...) ومنها ما ينبه المفسرَ إلى إدراك خصوصيات بلاغية تتبع مقتضى المقامات فإن من أسباب النزول ما يعين على تصوير مقام الكلام».[1]

2_1- السياق اللّغوي: التزم الشيخ ابن عاشور في تفسيره ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، فالتناسب تداوليا هو طلب الانسجام من خلال النظر في النصوص، فيجعله ابن عاشور لا يقتصر على القرآن فحسب، بل قد يدخل في جملته الوحي بمفهومه العام بما فيه نصوص السنة، ونصوص القرآن ولا ينبغي وقوع التعارض بينها، بل إن الأصل أن يفسر بعضها بعضًا، ويحيل بعضها على بعض، ويفصل بعضها مجمل بعض وهكذا...[2]

وطلب التناسب أو المناسبة له مراتب عند الإمام ابن عاشور يبتدئ من أدنى مستويات الدرس اللساني ألا وهو تناسب الأصوات فيما بينها مرورا بتناسب الكلمات في النظم، وإلى تناسب الجمل والآيات، وإلى تناسب السور، وهو كله أمر توقيفي لا مدخل للتوفيق فيه إلا من جانب الكشف عن أسرار التناسب الظاهرة والمطوية.[3]

يقول ابن عاشور: « واتساقُ الحروف واتساقُ الآيات واتساقُ السور كله عن رسول الله صل الله عليه وسلم فلهذا كان الأصل في آي القرآن أن يكون بين الآية ولاحقتها تناسب في الغرض، أو في الانتقال منه أو نحو ذلك من أساليب الكلام المنتظم المتصل، ومما يدل عليه وجود حروف العطف المفيدة الاتصال مثل الفاء ولكن وبل ومثل أدوات الاستثناء، على أن وجود ذلك لا يعيّن اتصال ما بعده بما قبله في النزول، فإنه قد اتُّفق على أن قوله تعالى﴿ غيرَ أولى الضَّرَر﴾[النساء: 95] نزل بعد نزول ما قبلَه وما

[1] التحرير والتنوير، ج(1)، ص 47.

[2] ينظر: التحليل التداولي عند الطاهر ابن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير، ص .364

[3] نفسه، ص 365.

بعده من قوله ﴿ لَّا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾[النساء:95]»[1].

إنّ تأكيد ابن عاشور على انسجام القرآن ووحدته من خلال تناسب الآيات والسور، يطرح قضية ناقشتها التداولية ألا وهي؛ قضية الانسجام.[2]

2_2_ السياق المقامي: لقد اهتم ابن عاشور بربط العبارات بمقام إنتاجها ووضع المنتج والمتلقي أثناء الإنتاج، وهذا ما نجده في أغلب تحليلاته للآيات القرآنية، ضف على ذلك أن القرآن الكريم ذاته ذو طابع تداولي.

وتتجلى تداوليته في[3]:

1- تنوع تراكيبه وأساليبه بحسب أحوال المخاطبين: بين مؤمن به، وبين شاك متردّد، وبين كافر لا يرجى منه إيمان، وعاند يرجى رجوعه عن عناده...

2- انفتاحه على الوقائع الحياتية؛ لأنه نزل في معترك الأحداث... ولهذا أثر على جماعة من السلف وجوب معرفة أسباب النزول على المفسر.

3- نزوله في بيئة عربية، ذات نظام قبلي له أنماط اجتماعية خاصة ومستوى معيّن من التفكير، فلا بدَّ لدارس القرآن الكريم من الاطلاع على واقع العرب ونظام تفكيرهم.

ومن الأمثلة التي تبرز اهتمام ابن عاشور بالجانب التداولي في القرآن الكريم ما يلي:

[1] التحرير و التنوير، ج (1)، ص 79- 80.

[2] ينظر: التحليل التداولي عند الطاهر ابن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير، ص 367.

[3] مسعود صحراوي، المنحى الوظيفي "في التراث اللغوي العربي"، ص39 وما بعدها.

-قال تعالى:﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ والْسَّلْوىَ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ [البقرة من الآية:57]، قال بن عاشور: «وقوله(كلوا من طيبات ما رزقناكم) مقول قول محذوف لأن المخاطبين حين نزول القرآن لم يؤمروا بذلك فدل على أنه من بقية الخبر عن أسلافهم»[1].

- ومنه قوله تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُواْ مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْقَيْنَا عَلَيهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُم لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[البقرة:170] قال بن عاشور:« وقوله (أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) كلام من جانب للرد على قولهم نتبع ما ألقينا عليه آباءنا، فإن المتكلم لما حكاه عنهم رد قولهم هذا باستفهام يُقصد منه الرد ثم التعجيب، فالهمزة مستعملة في الإنكار كناية وفي التعجيب إيماء، والمراد بالإنكار الرد والتخطئة لا الإنكار بمعنى النفي»[2].

- قال تعالى:﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُم عَلَى النَّارِ﴾[175] قال ابن عاشور:«... وإن جعلته مبتدأ مستقلا مع جملته فالجملة مستأنفة استئنافا بيانيا لبيان سبب انغماسهم في عذاب النار؛ لأنه وعيد عظيم جدا يستوجب أن يسأل عنه السائل فيبين بأنهم أخذوا الضلال ونبذوا الهدى واختاروا العذاب ونبذوا المغفرة، ومجيء المسند إليه حينئذ اسم إشارة لتفظيع حالهم؛ لأنه يشير لهم بوصفهم السابق وهو كتمان ما أنزل الله من الكتاب»[3].

وبما أنّ للسياق دورا كبيرا في توجيه معنى العبارات ودلالات المفردات، فقد راعى ابن عاشور في تفسيره الواقع الاستعمالي وسياق الحال، ومن النماذج التي تثبت ذلك ما يلي:

- قال تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا باللهِ وبِاليَوْم الأَخر وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾[البقرة:8]، يقول ابن عاشور:« وفي التعبير يقول في مثل هذا المقام إيماء إلى ذلك قول غير مطابق للواقع لأن الخبر المحكي عن

[1] التحرير والتنوير، ج(1)، ص 510.
[2] نفسه، ج(2)، ص 106.
[3] التحرير والتنوير، ج(2)، ص 125.

الغير إذا لم يتعلق الغرض بذكر نصه وحكى بلفظ يقول، أومأ ذلك إلى أنه غير مطابق لاعتقاده أو أن المتكلّم يكذبه في ذلك ، ففيه تمهيد لقوله (وما هم بمؤمنين)»[1].

- قوله تعالى:﴿ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[البقرة:24]

- قال بن عاشور:« ومفعول تفعلوا محذوف يدل عليه السياق أي فإن لم تفعلوا ذلك أي الإتيان بسورة مثله»[2].

- قوله تعالى ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذينَ اُتَّبَعُواْ وَرَأُواْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [البقرة:166] قال ابن عاشور:« وجملة (رأوا العذاب) حالية أي تبرءوا في حال رؤيتهم العذاب، ومعنى رؤيتهم إياه أنهم رأوا أسبابه وعلموا أنه أُعِد لمن أضلَّ الناس فجعلوا يتباعدون من أتباعهم لئلا يحق عليهم عذاب المضلين، ويجوز أن تكون رؤية العذاب مجازا في إحساس التعذيب كالمجاز في قوله تعالى (يمسهم العذاب)، فموقع الحال هنا حسن جدا وهي مغنية عن الاستئناف الذي يقتضيه المقام لأن السامع يتساءل عن موجب هذا التبرؤ فإنه غريب فيقال رأوا العذاب فلما أريد تصوير الحال وتهويل الاستفظاع عدل عن الاستئناف إلى الحال»[3].

- قوله تعالى:﴿ وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَّتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا﴾[النساء: 27]، قال بن عاشور: «وحذف متعلق (تميلوا) لظهوره من قرينة المقام»[4].

ومن خلال هذه النماذج من تفسير ابن عاشور، يتضح لنا أنه أولى السياق والمقام عناية خاصة في فهم معاني ودلالات الآيات القرآنية.

---

[1] نفسه، ج (1)، ص 263.

[2] نفسه، ص 342.

[3] التحرير والتنوير، ج (2)، ص 97.

[4] نفسه، ج (5)، ص 21.

كذلك من القضايا التي اهتم بها وأوردها في تفسيره، وجعلها من القضايا الأساسية هي؛ عنايته الخاصة بأسباب النزول، كونها تعين على فهم المعنى وتحديد دلالات الألفاظ والآيات، لأنّ بعض معاني الآيات لا يمكن إدراكها إلاّ باستحضار السياق المقامي الذي يتمثل في أسباب النزول، ومن النماذج التي نقتصر على ذكرها لتأكيد على استحضار ابن عاشور لأهمية أسباب النزول ما يلي:

2-2 -1/ -أسباب النزول تعين على معرفة دلالة الألفاظ: قال الله تعالى:﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً(88) وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ فإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيْرًا﴾[النساء: 89/88].

بين الطاهر ابن عاشور دلالة كلمة "يهاجروا" وأنَّ المراد بها الخروج في غزوة أُحد مع المسلمين[1] قال ابن عاشور:« وعليه فقول ﴿فَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ إن حمل على ظاهر المهاجرة لا يناسب إلاّ ما تقدّم في سبب النزول عن مجاهد وابن عباس، ولا يناسب ما في الصحيح عن زيد بن ثابت، فتعيّن تأويل المهاجرة بالجهاد في سبيل الله، فالله نهى المسلمين عن ولايتهم إلى أن يخرجوا في سبيل الله في غزوة تقع بعد نزول الآية لأنّ غزوة أُحد، التي انخزل عنها عبد الله بن أبي وأصحابه، قد مضت قبل نزول هذه السورة»[2].

2-2-2/ أسباب النزول يعين على معرفة الدلالة النحوية[3]: قال الله تعالى:﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[الشورى: 23] يقول ابن عاشور في تفسيرها أنها:« استئناف ابتدائي بمناسبة ذكر ما أعد للمشركين من عذاب وما أعد للمؤمنين من خير، وضمير جماعة المخاطبين مراد به المشركون لا

[1] عدنان قحطان عبد الله، دور أسباب النزول في فهم المعنى عند الطاهر بن عاشور في تفسير التحرير والتنوير، جامعة تكريت- العراق، د ت، ص 7.

[2] التحرير والتنوير، ج (5)، ص 151.

[3] أنواع هذه الدلالات أخذنا صياغة عنوانها من عند عدنان قحطان بمقال له بعنوان: دور أسباب النزول في فهم المعنى عند الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، ص 11.

محالة وليس في الكلام السابق ما يتوهم منه أن يكون ﴿قلْ لاَ أَسْأَلَكُمْ﴾ جوابا عنه، فتعين أن جملة ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ كلام مستأنف استئنافا ابتدائيا»[1]، فحكمه على أنها استئنافية كان بناءً على ما روي في سبب نزولها.

مثال ثان هو قوله تعالى:﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرونَ﴾[المائدة: 44] يقول ابن عاشور؛« فإذا ظن أحد أن "مَنْ" للشرط أشكل عليه كيف يكون الجورُ في الحكم كفرا، ثم إذا علم أن سبب النزول هم النصارى علم أن "منْ" موصولة وعلم أن الذين تركوا الحكم بالإنجيل لا يتعجب منهم أن يكفروا بمحمد»[2]، وعليه فمعرفة أسباب النزول من هذا الوجه معينة على التعرف على الإعراب، والتعرف على الإعراب أو الأوضاع التركيبية معين على معرفة الدلالة أو المعنى، ومعرفة المعنى الجزئي طريق لتأويل النص بأجمعه تداوليًا[3].

2-2-3/ أسباب النزول تحدد الدلالة في الآية: قال الله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقدِّمُوا بَيْنَ يَدَي اللهِ وَرَسُولِهِ واتَّقُوا اللهِ إنَّ اللهَ سمِيعٌ عَلِيمٌ(1) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْض أنْ تَحْبَطَ أعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾[الحجرات:1-2] فعلى الرغم من ورود سببين في الآية إلاّ أنّ ابن عاشور ذهب إلى العموم[4]فقال :« وهناك روايات أخرى في سبب نزولها فهي عامة في النهي عن جميع أحوال التقدم المراد»[5]، فهنا سبب النزول وضح دلالة الآية.

[1] التحرير والتنوير، ج (25)، ص 82.
[2] نفسه، ج (1)، ص 49 – 50.
[3] ينظر: التحليل التداولي عند الطاهر ابن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير، ص 380.
[4] ينظر: دور أسباب النزول في فهم المعنى عند الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، ص21 – 33.
[5] التحرير والتنوير، ج (26)، ص 217.

3_ استثمار معاني النحو في تفسيره:

3_1/ أسلوب التقديم والتأخير: التقديم والـــتأخير من الأساليب البلاغية التي تختص بها اللغة العربية، فقد تناوله ابن عاشور في تفسيره، فالغاية التي من أجلها يلجأ التكلم إلى تقديم لفظ وتأخير لفظ آخر أثناء كلامه ليست لمجرد العناية والاهتمام فحسب، وإنّما يعود سببها إلى بواعث وأغراض تداولية يحكمها المقام ويوجهها السياق الذي يجري فيه الكلام والأمثلة على ذلك كثيرة في الخطاب القرآني[1]، ومنها: قوله تعالى:﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[الأنعام: 151]، وقوله تعالى:﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾[الإسراء: 31]. فالآيتان متشابهتان من حيث تضمّن كلّ منهما فعلا كلاميا توجيهيا هو؛ النهي الصريح عن قتل الأولاد، إلاّ أنّهما تختلفان من حيث السياق الذي وردت فيه كلّ منهما – سبب النزول- إذ وردت الآية الأولى "آية الأنعام" في سياق قتل الآباء الفقراء لأولادهم، فقال تعالى:﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ ﴾[الأنعام:151]، أي لا تقتلوا أولادكم بسبب فقر حال بكم، فناسب هنا تقديم رزق الآباء على الأولاد، ﴿ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾.[2]

أمّا الآية الثانية فقد وردت في سياق قتل الآباء لأولادهم وخاصة الإناث منهم خشية الفاقة والفقر، فقال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ ﴾[الإسراء:31]، أي خشية فقر شديد يحلّ بكم، وذلك لأنّ الخشية من الشيء تكون قبل وقوعه، فقدّم الأهم وهو رزق الأولاد على الآباء لأنّه أنسب[3]، فقال:﴿ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ فجاء الخطاب مراعيا حال المخاطب والمقام، وشتان بين أن ينهى المخاطِب مستمعه عن شيء حاصل بالفعل وبين أن ينهاه عن شيء متوقع الحصول، وهنا يبرز دور أسلوب التقديم والتأخير كآلية تداولية للتفريق بين الموقفين الكلاميين في مثل هذين المثالين[4].

---

[1] ينظر: عيسى تومي، الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني" سورة البقرة أنموذجا"، ص 29.

[2] ينظر: الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني، ص 30.

[3] التحرير والتنوير، ج (15)، ص 88.

[4] ينظر: عيسى تومي، الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني" سورة البقرة أنموذجا"، ص 30.

3_1_1. تقديم المسند إليه:

استعرض ابن عاشور جوانب كثيرة يتقدم فيها المسند إليه، فالتقديم عنده لا يكون إلاّ لتأدية أغراض بلاغية؛ وهذه هي بعض الأغراض البلاغية:

– **تقوية الحكم وتأكيده**: قال ابن عاشور إنّ تقديم المسند إليه قد يكون لتقوية الحكم ومثال ذلك تفسيره لقوله تعالى:﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون﴾[البقرة: 4]، حيث قال؛ «جيء بالمسند إليه مقدما على المسند الفعلي لإفادة تقوية الخبر إذ هو إيقان ثابت عندهم من قبل مجيء الإسلام على الإجمال، وإن كانت التوراة خالية عن تفصيله والإنجيل أشار إلى حياة الروح»[1].

ومنه أيضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾[المائدة:99] حيث قال؛« وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي لإفادة تقوي الحكم وليس لإفادة التخصيص لنبو المقام عن ذلك»[2].

ومنه ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99]، حيث قال؛ والاستفهام في﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾ إنكاري، فتزّل النبي صل الله عليه وسلم لحرصه على إيمان أهل مكة وحثيث سعيه لذلك بكل وسيلة صالحة مترلة من يحاول إكراههم على الإيمان حتى ترتب على ذلك التزيل إنكاره، ولأجل كون هذا الحرص الشديد هو محل التزيل ومصب الإنكار وقع تقديم المسند إليه على المسند الفعلي، فقيل {أَفَأَنت تُكره الناس} دون أن يقال: أفتكره الناس، أو أفأنت مُكره الناس، لأن تقديم المسند إليه على مثل هذا المسند يفيد تقوي الحكم فيفيد تقوية صدور الإكراه من النبي صل الله عليه وسلم لتكون تلك التقوية محل الإنكار(...) وليس تقديم المسند إليه هنا مفيد للتخصيص، أي القصر لأنّ المقام غير صالح لاعتبار القصر[3].

---

[1] التحرير والتنوير، ج(1)، ص 241.

[2] نفسه، ج (7)، ص61.

[3] التحرير والتنوير، ج (11)، ص 293.

– **القصر والاختصاص**: قد يكون تقديم المسند إليه للقصر والاختصاص فمنه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الكهف: 13]، حيث قال: « وتقديم المسند إليه على المسند الفعلي في جملة ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ ﴾ يفيد الاختصاص، أي نحن لا غيرنا يقص قصصهم بالحق»[1].

ومنه أيضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ بَلَ أَنْتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: 36]، حيث قال: « وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في (أنتم تفرحون) لإفادة القصر، أي أنتم، وهو كناية عن رد الهدية»[2].

– **للاهتمام**: ذهب ابن عاشور إلى أن تقديم المسند إليه قد يكون أحيانا للاهتمام، فمثلا قال عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ [الأنفال: 17]، حيث قال: «وقدم المسند إليه على المسند الفعلي في قوله﴿ ولكن الله قتلهم﴾ دون أن يقال ولكن قتلهم الله، لمجرد الاهتمام لا الاختصاص، لأن نفي اعتقاد المخاطبين أنهم القاتلون قد حصل من جملة النفي، فصار المخاطبون متطلبين لمعرفة فاعل قتل المشركين فكان مهما عندهم تعجيل العلم به»[3].

– **للتحذير**: قد يتقدم المسند إليه لغرض بلاغي آخر وهو؛ التحذير ومثال ذلك تفسير ابن عاشور لقوله تعالى:﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾[البقرة: 268]، حيث قال؛ «وَقَدّم اسم الشيطان مسندا إليه لأنّ تقديمه مؤذن بذمّ الحكم الذي سيق له الكلام وشؤمه لتحذير المسلمين من هذا الحكم»[4].

3_1_2/ تقديم المسند: ولذلك أغراض بلاغية عرض لها ابن عاشور في تفسيره نقتطف منها مجموعة من النماذج[5]، فقد يتقدم المسند للأغراض الآتية:

---

[1] نفسه، ج (15)، ص 271.

[2] نفسه، ج (19)، ص 269.

[3] نفسه، ج (9)، ص 294.

[4] التحرير والتنوير، ج (3)، ص 59.

[5] ينظر: جمال محمود أحمد أبو حسان، تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير "دراسة منهجية ونقدية"، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 1991، ص 156.

– **للاختصاص**: ذهب ابن عاشور إلى أنه قد يتقدم المسند للاختصاص، قال عند قوله تعالى:﴿ لاَ فِيْهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: 47]، حيث قال: «وتقديم الظرف المسند على المسند إليه لإفادة التخصيص، أي هو منتفٍ عن خمر الجنة فقط دون ما يعرف من خمر الدنيا»[1].

ومثله عند قوله تعالى:﴿وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[الفتح:4]، حيث قال؛ «وتقديم المسند على المسند إليه في﴿ وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ لإفادة الحصر، وهو حصر ادعائي إذ لا اعتداد بما يجمعه الملوك والفاتحون من الجنود لغلبة العدّو بالنسبة لما لله من الغلبة لأعدائه والنصر لأوليائه»[2].

– **للتشويق**: قد يقدم المسند للتشويق للمسند إليه وذلك على نحو ما قرره في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّقُولُ آَمَنَّا بِاللَهِ وَبِالْيَوْمِ الأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[البقرة:8]، حيث قال؛ «وقولهّ{ ومن الناس} خبر مقدم لا محالة وقد يتراءى أن الإخبار بمثله قليل الجدوى لأنه إذا كان المبتدأ بأنه من الناس أوفي الناس غير مجد بخلاف الخَضِر من الناس، أي لا من الملائكة فإن الفائدة ظاهرة، فوجه الإخبار بقولهم من الناس في نحو الآية ونحو قول بعض أعزة الأصحاب في تهنئة لي بخطة القضاء:

في الناس من ألقى قِلادتها إلى خَلفٍ فحرَّم ما ابْتَغَى وأباحا

إن القصد إخفاء مدلول الخبر عنه كما تقول قال هذا إنسانٌ، وذلك عندما يكون الحديث يكسب ذما أو نقصانا (...)وقد كثر تقديم الخبر في مثل هذا التركيب لأن تقديمه تنبيها للسامع على عجيب ما سيذكره، وتشويقا لمعرفة ما يتم به الإخبار»[3]، فتقديم الخبر في هذه الآية له وظيفة خاصة ولو أخر لذهبت فائدته، وهو يدل على أن لكل كلمة في التركيب قيمتها في ذاتها وفي ترتيبها الخاص ومالا تحصل به الفائدة ينبغي ألا يذكر.

[1] التحرير والتنوير، ج (23)، ص 113.
[2] نفسية، ج (26)، ص 151.
[3] التحرير والتنوير، ج (1)، ص 259- 260 .

ومنه أيضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَمِنهُمَ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الكِتَابَ﴾[البقرة: 78]، حيث قال؛ «ومنهم خبر مقدم وتقديمه للتشويق إلى المسند إليه»[1].

– **للتعجيب**: أي أنه قد يقدم المسند للتعجيب من مضمون صلة المسند إليه، وهذا ما ذكره ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى:﴿وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾[آل عمران: 76]، حيث قال؛ « وتقديم المسند في قوله﴿ وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ ﴾ في الموضعين للتعجيب من مضمون صلة المسند إليهما ففي الأول للتعجيب من قوة الأمانة، مع إمكان الخيانة ووجود العذر له في عادة أهل دينه، وفي الثاني للتعجيب من أن يكون الخون خُلقا لمتبع كتاب من كتب الله، ثم يزيد التعجيب عند قوله﴿ ذلك بأنهم قالوا﴾ فيكسب المسند إليهما زيادة عجَب حالٍ»[2].

– **للاهتمام**: قد يكون تقديم المسند للاهتمام، ومثاله تفسير ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ يُؤَلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾[البقرة: 266]، حيث قال؛ «وتقديم ﴿ لِلَّذِينَ يُؤَلُونَ﴾ على المبتدأ المسند إليه وهو{ تَرَبُّصُ}، للاهتمام بهذه التوسعة التي وسع الله على الأزواج، وتشويق لذكر المسند إليه»[3].

– **للقصر**: ومثال ذلك تفسير ابن عاشور لقوله تعالى:﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلونَ﴾[البقرة: 134]حيث قال؛ «وتقديم المسندين على المسند إليهما في ﴿ لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾ لقصر المسند إليه على المسند أي ما كسبت الأمة لا يتجاوزها إلى غيرها وما كسبتم لا يتجاوزكم، وهو قصر إضافي لقلب اعتقاد الخاطبين فإنهم لغرورهم يزعمون أن ما كان لأسلافهم من الفضائل يزيل ما ارتكبوه هم من المعاصي أو يحمله عنهم أسلافهم»[4]، فقد راعى ابن عاشور هنا في تحليله ملابسات الخطاب وحال المخاطبين، وهذا النص لا يفهم معناه الأصلي إلا

[1] نفسه، ص 573.
[2] نفسه، ج(3)، ص 285.
[3] نفسه، ج (2)، ص 385.
[4] التحرير والتنوير، ج (1)، ص 735.

بمراعاة ذلك، فقَلْب اعتقاد المخاطبين هو الوظيفة الأساسية لهذه الآية حققته هذه البنية بالذات والتي جاءت على صورة القصر الإضافي[1].

3_1_3/ تقديم متعلقات الفعل[2]: عرض ابن عاشور لهذا النوع من التقديم من خلال تفسيره للآيات الكريمة المشتملة على ذلك وسنحاول أن نقف مع بعض الأسرار البلاغية لبعض هذه المتعلقات:

1_ تقديم المفعول: يقدم المفعول لأغراض بلاغية منها:

-**التعجيب**: ومثال ذلك ما ذكره ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى:﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾ [الأنعام: 100] حيث قال؛ «فإن شركاء مفعول ثان وإنما قدم على الأول { الجن} لأنه محل تعجيب وإنكار فصار لذلك أهم وذكره أسبق»[3].

-**لتعجيل المساءة**: قوله تعالى:﴿ ثُمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾[الحاقة:31]، حيث قال ابن عاشور في تفسيرها؛« وتقديم {الجحيم} على عامله لتعجيل المساءة مع الرعاية على الفاصلة »[4].

-**للاختصاص**: قوله تعالى:﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَ إِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[البقرة: 40]، حيث قال ابن عاشور في تفسيرها؛« فتقديم المفعول هنا متعين للاختصاص ليحصل من الجملة إثبات ونفي واختير من طرق القصر طريق التقديم دون ما وإلا ليكون الحاصل بالمنطوق هو الأمر برهبة الله تعالى ويكون النهي عن رهبة غيره حاصلا بالمفهوم فإنهم إذا رهبوا الله تعالى حرصوا على الإيفاء بالعهد ولما كانت رهبتهم أحبارهم تمنعهم من الإيفاء بالعهد أدمج النهي عن رهبة غير الله مع الأمر برهبة الله تعالى في صيغة واحدة... وتقديم المفعول مع اشتغال فعله بضميره آكد في إفادة التقديم الحصر من تقديم المفعول

[1] ينظر: لطاهر شارف، المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور" سورة البقرة نموذجا"، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005- 2006، ص 72.

[2] يقصد بها الزمان والمكان الذي يقع فيهما الفعل، والجار والمجرور، والحال، والمفعول به، أنظر: تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير "دراسة منهجية ونقدية"، ص 157.

[3] التحرير والتنوير، ج (7)، 406.

[4] التحرير والتنوير، ج (29)، ص 138.

على الفعل غير المشتغل بضميره، فإياي ارهبوني آكد من نحو إياي ارهبوا كما أشار إليه صاحب الكشاف»[1]، فالتقديم في ﴿وإياي فارهبون﴾ اشتمل على إثبات الخشية لله وحده، والنهي عن خشية غيره.

-**للقصر**: كقوله تعالى:﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُون﴾[البقرة:57]، حيث قال ابن عاشور: «وقوله:﴿وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُون﴾ قدم فيه المفعول للقصر وقد حصل القصر أولا بمجرد الجمع بين النفي والإثبات ثم أكد بالتقديم لأن حالهم كحال من ينكى غيره، كما قيل: يفعل الجاهل بنفسه ما يفعل العدو بعدوه».[2]

ومنه كذلك تفسير ابن عاشور لقوله تعالى:﴿كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاء إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[فاطر: 28]، حيث قال« والقصر المستفاد من (إنّما) قصر إضافي، أي لا يخشاه الجهال، وهم أهل الشرك فإن من أخص أوصافهم أنهم أهل الجاهلية، أي عدم العلم؛ فالمؤمنون يومئذ هم العلماء، والمشركون جاهلون نفيت عنهم خشية الله، ... وتقديم مفعول{يخشى} على فاعله لأن المحصور فيهم خشية الله هم العلماء فوجب تأخيره على سنة تأخير المحصور فيه»[3].

- **للدلالة على التفصيل**: كقوله تعالى:﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبتُم وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: 87]، حيث قال ابن عاشور في تفسيره للآية؛ «وتقديم المفعول هنا لما فيه من الدلالة على التفصيل فناسب أن يقدم ليدل على ذلك»[4]، جاء التقديم هنا لتفصيل القول فيما حدث للمفعول به (فريقا) في الجملتين.

نستخلص أنّ البنية التي يتقدم فيها المفعول به تؤدي مجموعة من الوظائف منهاّ؛ وظيفة العناية والاهتمام، الحصر، القصر، التفصيل، التعجيب...الخ.

---

[1] نفسه، ج (1)، ص 454.

[2] نفسه، ص 512.

[3] التحرير والتنوير، ج (22)، ص 304.

[4] نفسه، ج (2)، ص 598.

2- تقديم المجرور: تقدُّم المجرور على المتعلق به معنويا يحصِّل فائدة الاهتمام به أو لتخصيصه، وقد يكون لدفع اللبس عن المعنى[1]، وفيما يلي بعض النماذج التي يتقدم فيها المجرور:

-**الاهتمام**: ذكره ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُم يُنْفِقُونَ﴾[البقرة: 3]، حيث قال؛ «وتقديم المجرور المعمول على عامله وهو{ينفقون} لمجرد الاهتمام بالرزق في عرف الناس فيكون في التقديم إيذان بأنهم ينفقون مع ما للرزق من المعزَّة على النفس...»[2]، وقد يكون هذا التقديم إشارة إلى أن ما ينفقونه هو رزق من الله، وهو الذي أعطاه لهم ابتداء. ولهذا كانت رتبة الرزق قبل رتبة إنفاقه لتؤدي كل هذه الدلالات.

-**القصر**: كقوله تعالى:﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ﴾[البقرة: 138]، قال ابن عاشور؛ «وفي تقديم الجار والمجرور على عامله في قوله:{ لَهُ عَابِدونَ} إفادة قصر إضافي على النصارى الذين اصطبغوا بالمعمودية لكنهم عبدوا المسيح»[3].

ومنه كذلك تفسير ابن عاشور لقوله تعالى:﴿ لَّهُ مَا فِي السَّماوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾[البقرة: 255] حيث قال؛ «وما تضمنه تقديم المجرور من قصر ذلك الملك عليه قصر قلب»[4]، بتقديم المجرور ردّ الله تعالى عمن يعتقدون أن الملك فيه شركاء.

-**الاختصاص**: قوله تعالى:﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾[البقرة: 139]، قال ابن عاشور« وتقديم المجرور في{لَنَا أَعْمالُنَا } للاختصاص أي لنا أعمالنا لا أعمالكم فلا تحاجونا في أنكم أفضل منا»[5].

---

[1] ينظر: الطاهر شارف، المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور"سورة البقرة أنموذجا"، ص 72.

[2] التحرير والتنوير، ج (1)، ص 236.

[3] التحرير والتنوير، ج (1)، ص 745.

[4] التحرير والتنوير، ج (3)، ص 20.

[5] التحرير والتنوير، ج (1)، ص 746.

وكقوله تعالى:﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ والَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلى المَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾[الرعد: 14]، حيث قال ابن عاشور؛ «وتقديم الجار والمجرور على المبتدأ لإفادة التخصيص، أي دعوة الحق ملكه لا ملك غيره، وهو قصر إضافي»[1].

وقوله تعالى:﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ والأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: 19]، قال ابن عاشور «و{ مَنْ فِي السَّماواتِ} مبتدأ، وتقديم المجرور للاختصاص، أي؛ له من في السماوات والأرض لا لغيره، وهو قصر إفراد، ردا على المشركين الذين جعلوا لله شركاء في الإلهية»[2].

– **لزيادة استحضار الصورة:** كما ذكره ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس: 71]، حيث قال؛ «وتقديم {لها} على{مالكون} الذي هو متعلّقة لزيادة استحضار الأنعام عند السامعين قبل سماع متعلّقة ليقع كلاهما أمكن وَقْع بالتقديم، وبالتشويق»[3].

– **لكمال الامتنان:** وذلك ما ذكره ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَيُنَزّلُ لَكُم مّنَ الَّسمَاءِ رِزْقًا﴾ [غافر: 13]، حيث قال« وتقديم{لكم} على مفعول{يترل} وهو{رزقا} لكمال الامتنان بأن جُعل تترِيل الرزق لأجل الناس ولو أخر المجرور لصار صفة لـــ{رزقا} فلا يفيد أن التترِيل لأجل المخاطبين بل يفيد أن الرزق صالح للمخاطبين، فكان تقديم المجرور في الترتيب على مفعول الفعل على خلاف مقتضى الظاهر لأن حق المفعول أن يتقدم على غيره من متعلقات الفعل»[4].

---

[1] التحرير والتنوير، ج (13)، ص 108.

[2] نفسه، ج (17)، ص 35.

[3] نفسه، ج (23)، ص 68- 69.

[4] نفسه، ج (24)، ص 104.

وهكذا يسير ابن عاشور في هذا الموضوع البياني – التقديم والتأخير– الرائع الذي يتفق به اكمام وروائع الآيات القرآنية الكريمة، باحثا عن أسراره البلاغية[1].

2/ الحذف والذكر في الكلام و دلالتهما الوظيفية:

2_1/ أسلوب الحذف: يعتبر الحذف من أبرز الأساليب البلاغية التي تحقق للتراكيب وظائف دقيقة وعجيبة، فقد يلجأ إليه المتكلم ليحذف بعض الأجزاء من كلامه لدلالة الباقي عليها، وهو يرتبط بنص الخطاب كما يرتبط بحال السامع وبعلاقته بذلك الخطاب وهو ما يؤكد مراعاة البعد التداولي لهذا الأسلوب البلاغي، إذ إنّ من دواعيه أنّ المتكلم يرى أحيانا أنّ ترك الذكر أفصح من الذكر، وأنّ الصمت عن الإفادة أزيد للإفادة[2]، فيقول عنه الجرجاني:" هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تُبِن،..."[3]، فهنا يؤكد الجرجاني أن مراعاة حال السامع، والمقام الذي يجري فيه الخطاب هو ما يجعل المتكلم في الكثير من الأحيان يلجأ إلى الحذف بغرض الإيجاز في الكلام، واختصار المسافة من أجل إيصال أفكاره وتبليغها إلى مستمعه، هذا الأخير الذي يفترض أن يكون دوما على علم بمواطن الحذف[4].

وممّا تجدر الإشارة إليه أن ابن عاشور قد أولى هذه الظاهرة عناية خاصَّة، فقال:« إنَّك تجد في كثيرٍ من تراكيب القرآن حذْفًا ولكنَّك لا تعثُر على حذفٍ يخلو الكلامُ مِن دليل عليه، مِن لفْظ أو سياق، زيادةٌ على جمْعه المعاني الكثيرة في الكلام القليل»[5].

[1] ينظر: جمال محمد أحمد أبو حسان، تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير" دراسة منهجية نقدية"، ص 165.

[2] ينظر: عيسى تومي، الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني_ سورة البقرة أنموذجا_ ، ص 30.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 146.

[4] ينظر: عيسى تومي، الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني، ص 31.

[5] التحرير والتنوير، ج (1)، ص 122.

وللحذف في تراكيب اللغة وظائف دلالية هامة لولاه ما حققها التركيب، وسنحاول فيما يلي عرض بعض النماذج التي تبرز التحليل الوظيفي لابن عاشور لبعض تراكيب القرآن العظيم:

2_1_1/ حذف المسند إليه:

أ/ **حذف المُبتدأ**: لحذف المبتدأ أبعاد بلاغية تداولية؛ أهمُّها:

– **التعظيم**: قوله تعالى:﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاواتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[الطلاق: 12]، حيث قال ابن عاشور «اسمُ الجلالةِ خبر مبتدأ محذوفٍ، تقديره: هو الله، وهذا مِن حذْف المسنَدِ إليه؛ لمتابعةِ الاستعمالِ كما سماه السكاكي؛ فإنه بعدَ أنْ جرى ذِكر شؤون من عظيمِ شؤون الله ابتداءً من قوله ﴿واتقوا الله ربكم﴾ إلى هنا، فقد تكرَّر اسمُ الجلالة وضميره والإسنادُ إليه زهاء ثلاثين مرَّة، فاقتضى المقامُ عَقِب ذلك أن يُزاد تعريفُ الناس بهذا العظيم، ولما صار البِساط مليئًا بذِكر اسمه صحَّ حذفُه عند الإخبار عنه إيجازًا»[1].

– **التهويل**: يُحذَفُ المبتدأ في جواب الاستفهامِ للتهويل، كما في قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحُطَمَةُ(5) نَّارُ اللهِ المُوقَدَةُ(6) التي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ(7)﴾[الهمزة]، قال ابن عاشور« وجملة{نَّارُ اللهِ المُوقَدَةُ} جواب عن جملة{ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحُطَمَةُ}، مُفِيدٌ مجموعُهما بيانَ الحُطمة ما هي، وموقعُ الجملةِ موقعُ الاستئناف البَياني، والتقديرُ : هي- أي :الحطمة نارُ الله، فحُذِفَ المبتدأ من الجملة؛ جرْيًا على طريقة استعمالِ أمثاله من كلِّ إخبارٍ عن شيء بعدَ تقدُّم حديثٍ عنه وأوصافٍ له، وإضافة(نار) إلى اسم الجلالةِ؛ للترويعِ بها بأنّها نارٌ خلَقها القادرُ على خلق الأمور العظيمةِ»[2].

– **التحقير**: ومِن أمثلة الحذْف الذي يَشيع عند العرب أنْ إذا ذكَروا موصوفًا بأوصافٍ أو أخبارٍ، حذَفوا المسنَد إليه، وجعَلوه كأنه معروفٌ للسامع، وقد سمَّاه السكَّاكي؛ الحذفَ الذي اتُّبِع فيه الاستعمالُ الوارد

[1] التحرير والتنوير، ج (28)، ص 339.

[2] التحرير والتنوير، ج (30)، ص 540.

على ترْكِه[1]، ومنه قول الله تعالى:﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾[البقرة: 18]، قال ابن عاشور؛« ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ أخبارٌ لمبتدأٍ محذوف، هو ضميرٌ يعود إلى ما عاد إليه ضمير{ مَثَلُهُمْ}، والإخبارُ عنهم بهذه الأخبار جاء على طريقةِ التشبيه البليغِ؛ شُبِّهوا في انعدام آثارِ الإحساس منهم بالصُّم البُكم العُمْيِ، أي كل واحد منهم اجتمَعت له الصّفات الثلاث، وذلك شأن الأخبارِ الواردة بصيغةِ الجمْع بعد مبتدأٍ هو اسم دال على جمْع، فالمعنى كل واحد منهم كالأصم الأبكم»[2].

هكذا يتبين لنا أن حذف المبتدأ يمكن أن يخرج إلى دلالاتِ كالتعظيم أو التهويل، أو التحقير، وهذه الدلالات التي يخرج إليها حذف المبتدأ يدُلُ عليها السِّياق.

ب- حذف الفاعل: سنحاول فيما يلي أن نعرض بعض الأغراض التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره للآيات التي ورد فيها حذف الفاعل:

- **إفادة أكثر من احتمالٍ**: كما في قوله تعالى﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الحياةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ أَمَنُواْ وَالَّذينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[البقرة:212]، قال ابن عاشور «وحذف فاعل "التزيين" لأن المزيِّن لهم يحتمل أمور كثيرة منها: خلق بعض الأشياء حسنة بديعة كمحاسن الذوات والمناظر، ومنها إلقاء حسن بعض الأشياء في نفوسهم وهي غير حسنة كقتل النفس،(...)،إلى غير ذلك من الأمور يصلح كل منها أن يُعدُّ فاعلا للتزيين حقيقة أو عرفا، فلأجل ذلك طوى ذكر هذا الفاعل تجنبا للإطالة»[3].

- **للتعظيم**:كما في قوله تعالى:﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ المَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[هود: 44]، قال ابن عاشور« لم يُصرَّح بمَن غاض الماء، ولا بمن قضى الأمْرَ وسوَّى السفينة، وقال{بعدا}كما لم يُصرح بقائل: يا أرضُ، ويا سماء في صدْر

[1] ينظر: نوف بنت محمد بن علي الصمعاني، بلاغة الحذف في تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، رسالة ماجستير، جامعة القصيم- المملكة العربية السعودية، 2017-2018 ، ص 61.

[2] التحرير والتنوير، ج (1)، ص 313.

[3] التحرير والتنوير، ج (2)، ص 292.

الآية، سلوكًا في كلِّ واحد من ذلك لسَبيل الكنايةِ أن تلك الأمورَ العِظامَ لا تتأتَّى إلا من ذي قُدرة لا يُكتَنه قهَّارٍ لا يُغالَب، فلا مجالَ لذَهاب الوهمِ إلى أن يكون غيره جلت عظمته قائلًا : يا أرضُ، ويا سماء، ولا غائضا ما غاض، ولا قاضيًا مثلَ ذلك الأمرِ الهائل، أو أن تكون تسوية السفينة وإقرارُها بتسويةِ غيرِه وإقراره»[1].

- **للإيجاز**: كقوله تعالى:﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرَوا سيئتْ وُجُوهُ الذِينَ كَفَرُا وَقِيلَ هذَا الذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾[الملك: 27]، قال ابن عاشور؛«{هذَا الذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ} ملائكة المحشر أو خزنة جهنم، فعدل عن تعيين القائل، إذ المقصود المقول دون القائل، فحذف القائل من الإيجاز».[2]

ج/ حذف المفعول به: ذكر ابن عاشور أغراضًا كثيرة لحذف المفعول به؛ منها إثبات الفِعل للفاعل تنزيلا له منزلة اللازم، وللعلم به، ولظهوره، ولدلالة مقابله عليه، ولقصد الإجمال في الوعيد، وللتعميم، ولدلالة الكلام عليه، ولإفادة أكثر من احتمال، ولشهرته، ولدلالة الاستدراك، وللاهتمام بالفعل[3].

وسنحاول فيما يلي التطرق إلى بعض أغراض حذف المفعول به، كما وردت عند ابن عاشور:

- لإثبات الفعل للفاعل فقط وعدم تعلُّقه بمفعول: لقوله تعالى﴿ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّماءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مَنَ الثَّمَراتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: 23]، قال ابن عاشور:" وقوله{وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ } جُملة حاليَّة، ومفعولُ {تَعْلَمُونَ} متروكٌ؛ لأن الفِعلَ لم يُقصَدْ تعليقُه بمفعول، بل قُصِدَ إثباتُه لفاعلِه فقط، فنُزِّلَ الفِعلُ منزلةَ اللازم، والمعنى: وأنتم ذو علم"[4].

– **العموم**: قوله تعالى:﴿وَلْيَخْشَ الَّذينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ اللهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا﴾[النساء:9]، قال ابن عاشور« فيفهم من الكلام تعريض بالتهديد بأن نصيب أبناءهم مثل ما

[1] التحرير والتنوير، ج (12)، ص 81.
[2] نفسه، ج (29)، ص 51.
[3] ينظر: بلاغة الحذف في تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، ص 83- 84.
[4] التحرير والتنوير، ج (1)، ص 335.

فعلوه بأبناء غيرهم، والأظهر أن مفعول{يخش}محذوفٌ لدلالة الكلامِ عليه، وحسُنَ حذْفُه مِن حيث يَتقدَّرُ فيه التخويفُ بالله تعالى، والتخويفُ بالعاقبة في الدنيا، فيَنظُر كلُّ مُتأوِّلٍ بحسب الأهمِّ في نفْسه»[1]، فهنا حذف المفعول به لإفادة العموم.

– **للتهويل:** قوله تعالى:﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[الزخرف: 89]، قال ابن عاشور حُذِفَ مفعولُ{تعلمون} للتهويل لتذهب نفوسهم كل مذهب ممكن.

– **يحذف المفعول للإيجاز ولدلالة مُقابله عليه:** كما في قوله تعالى:﴿وَنَادىٰ أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِنٌ بَيْنَهُمْ أن لَّعنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[الأعراف:44]، قال ابن عاشور«حُذِفَ مفعولُ{وَعَدَ}الثاني في قوله﴿ مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾؛ لِمجرَّد الإيجازِ؛ لدلالة مُقابِله عليه في قوله ﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾، لأن المقصودَ من السؤالِ سؤالُهم عما يخُصُّهم، فالتقدير: فهلْ وجدتُم ما وعَدكم ربُّكم، أي: من العذابِ؛ يُستعمَلُ في الخير والشرِّ»[2].

– **الإجمال في الوعيد:** كما في قوله تعالى:﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ أَمَنتُم به قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ(123) لأُقَطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الأعراف]، قال ابن عاشور« وحذف مفعول{ تعلمون}لقصْدِ الإجمالِ في الوعيد لإدخالِ الرُّعب، ثم بيَّنه بجملة﴿ لأقطعنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِنْ خَلْفٍ﴾»[3].

– **للعلم به:** لقوله تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: 13]، قال ابن عاشور؛« وحذف مفعول آمِنوا استغناء عنه بالتشبيه في قوله{ كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ} أو لأنَّه معلوم للسامعين»[4]، حذف المفعول لوجود ما يدل عليه، ولعلم المخاطبين بما يؤمنون.

[1] التحرير والتنوير، ج (4)، ص 252.
[2] نفسه، ج (8– ب)، ص 137.
[3] نفسه، ج (9)، ص 54.
[4] نفسه، ج (1)، ص 286.

للحذف أنواع عديدة تطرق لها ابن عاشور في تفسيره وبين أغراضها وأسرارها البلاغية منها؛ حذف الحرف، وحذف الفعل، وحذف المضاف، وحذف المضاف إليه، وحذف الموصوف، وحذف الصفة، وحذف الجملة، حذف الضمير وجاره، حذف جواب الشرط... الخ[1]

2-2 الذّكر: الأصل في الكلام هو الذّكر ولا يعدل عنه إلاّ لغرض تأدية وظيفة تواصلية، ويعتمد فيه على دلالة اللفظ الظاهر بخلاف الحذف الذي يعتمد فيه على دلالة العقل، فتذكر الكلمات في مواضع يفترض فيها الحذف وذلك لتأدية أغراض منها زيادة الإيضاح لدى السامع، ودفع التوهّم[2]، وقد تعرض ابن عاشور في تفسيره للوظائف والأغراض البلاغية التي يؤديها الذكر، نكتفي بذكر بعض النماذج الآتية:

- قال الله تعالى:﴿ فَبَدَّلَ الَّذينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾[البقرة:59]، قال ابن عاشور؛ « وإنما جاء بالظاهر في موضع المضمر في قوله:﴿ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا﴾ ولم يقل عليهم لئلا يتوهم أن الرجز عم جميع بني إسرائيل»[3]، وإنّما خص الّذين بدلوا القول ، فالذكر هنا كانت له وظيفة تخصيص الذين بدلوا القول من بني إسرائيل بإنزال الرجز عليهم.

- قوله تعالى:﴿ ويسأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فيهِ قُلْ قِتَالٌ فيهِ كَبِيرٌ﴾[البقرة: 217]، قال ابن عاشور: «وقوله: {قُلْ قِتَالٌ فيهِ كَبِيرٌ} إظهار لفظ في مقام الإضمار ليكون الجواب صريحا حتى لا يتوهم أن الشهر الحرام هو الشهر الحرام الكبير، وليكون الجواب على طبق السؤال في اللفظ»[4]، فوظيفة الذّكر هنا إزالة اللبس ودفع التوهم والدقة في الجواب.

- قوله تعالى:﴿ وَإِذَا قُرِئَ القُرْآنُ فاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الأعراف: 204]، قال ابن عاشور؛« وذُكر اسم القرآن إظهارٌ في مقام الإضمار، لأن القرآن تقدم ذكره بواسطة اسم الإشارة،

[1] للاطلاع أكثر ينظر: رانية جهاد إسماعيل الشوبكي ، الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير.

[2] ينظر: المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، ص 83.

[3] التحرير والتنوير، ج (1)، ص 516.

[4] نفسه، ج (2)، ص 325.

فنكتة هذا الإظهار: التنويه بهذا الأمر، وجعل جملته مستقلة بالدلالة غير متوقفة على غيرها، وهذا من وجوه الاهتمام بالكلام، ومن دواعي الإظهار في مقام الإضمار»[1]، فهنا الذّكر أدى وظيفة التنويه.

– قال تعالى:﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآَخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ﴾[ص: 7]، قال ابن عاشور:« وإعادة اسم الإشارة من وضع الظاهر موضع المضمر؛ لقصد زيادة تمييزه»[2]، فهنا الذكر أفاد زيادة التمييز.

– قال تعالى:﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الروم:41]، قال ابن عاشور:« فالإتيان بلفظ الناس فيقوله:{ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ } إظهار في مقام الإضمار لزيادة إيضاح المقصود، ومقتضى الظاهر أن يقال :بما كسبت أيديهم»[3]، فهنا الذّكر أفاد الإيضاح.

– قال تعالى:﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا(1) وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[الزلزلة]، قال ابن عاشور؛« وإعادة لفظ الأرض في قوله ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ إظهار في مقام الإضمار لقصد التهويل »[4]، فهنا الذّكر أفاد التهويل.

3/ التعريف والتنكير ودلالاتهما الوظيفية:

3_1/ التعريف: هو اسم يدل على شيء واحد بعينه؛ لأنه متميز بأوصاف وعلامات لا يشاركه فيها فرد من نوعه، وللتعريف أدوات كثيرة منها؛ الضمير، الموصلية، والإشارة، والتعريف بـــــ(ال)، والتعريف بالإضافة[5] وللتعريف أغراض بلاغية تطرق لها ابن عاشور في تفسيره نحاول ذكر بعضها:

– **الاختصاص**: قال تعالى:﴿ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدً مِّن رِبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[البقرة:5]

[1] التحرير والتنوير، ج (9)، ص 239.
[2] نفسه، ج (23)، ص 212.
[3] نفسه، ج (21)، ص 109.
[4] نفسه، ج (30)، ص 491.
[5] ينظر: رانية جهاد إسماعيل الشوبكي، الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية– غزة، 2009، ص41 – 41.

قال ابن عاشور؛ «وتعريف المسند بلام الجنس إذا حمل على مسند إليه معرف أفاد الاختصاص، فيكون ضمير الفصل لمجرد تأكيد النسبة، أي: تأكيدًا للاختصاص، فأما إذا كان التعريف للجنس وهو الظاهر فتعريف المسند إليه مع المسند من شأنه إفادة الاختصاص غالبًا »[1].

وقوله تعالى:﴿ هُوَ الَّذي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً...﴾[النحل:10]، قال ابن عاشور؛ «وصيغة تعريف المسند إليه والمسند أفادت الحصر، أي: هو لا غيره، وهذا قصر على خلاف مقتضى الظاهر؛ لأن المخاطبين لا ينكرون ذلك ولا يدعون له شريكًا في ذلك ...فكان القصر قصر إفراد تخريجًا للكلام على خلاف مقتضى الظاهر»[2]، هنا جاء التعريف لإفادة القصر ولزيادة التأكيد.

– **للتنبيه**: من ذلك قوله تعالى:﴿ وَالوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:8]، قال ابن عاشور؛ « والإتيان بالإشارة للتنبيه على أنهم إنما حصلوا الفلاح لأجل ثقل موازينهم، واختير اسم إشارة البعد تنبيهًا على البعد المعنوي الاعتباري »[3].

– **التأكيد**: قال تعالى:﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللهَ مُوهِّنُ كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾[الأنفال:18]، قال ابن عاشور؛« الإشارة بـــ (ذلكم) إلى البلاء الحسن، وهذه الإشارة لمجرد تأكيد المقصود من البلاء الحسن، وأن ذلك البلاء علة للتوهين»[4].

– **الاهتمام**: قال تعالى:﴿ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ ...﴾[الإسراء:66]، قال ابن عاشور؛« وافتتحت الجملة بالمسند إليه معرّفا بالإضافة، ومستحضرا بصفة الربوبية؛ لاستدعاء إقبال السامعين على

[1] التحرير والتنوير، ج(1)، ص 246.
[2] التحرير والتنوير، ج (14)، ص 113.
[3] الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير، ص 52، نقلا عن: التحرير والتنوير، ج (8)، ق2، ص 31.
[4] نفسه، ج (9)، ص 297.

الخبر المؤذن بأهميته، حيث افتتح بما يترقب منه خبر عظيم، لكونه من شؤون الإله الحق، وخالق الخلق، ومدبر شؤونهم تدبير اللطيف الرحيم»[1].

قبل أن نتطرق إلى التنكير نُشير إلى أن الأغراض البلاغية التي يخرج إليها التعريف، أشار إليها ابن عاشور في تفسيره كثيرة مهنا؛ التعظيم، التنويه، التمييز، الاعتزاز، التحبيب، الملاطفة، تعريف الحضور الذي يندرج ضمن مواطن التعريف بـــ"ال"، التأكيد، الشمول، التقريب، الاستحقاق،الإيضاح، التقرير، النفي التعريض، التوبيخ، التهويل...الخ[2].

3_2/ التنكير: للتنكير أغراض عدة تستفاد من السياق لا من التنكير، فالسياق وحده هو الّذي يدل على المراد من هذا التنكير، وقد تحدث ابن عاشور عن الأغراض التي يُفيدها التنكير في الكثير من آيات القرآن الكريم، والتي تجلت فيها قمة البلاغة العربية، وبين الحكمة منه، والتي تفهم من السياق[3]، ومن بين الأغراض التي تحدث عنها نذكر ما يلي:

- **التعظيم**: كقوله تعالى:﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إلى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الإسراء:1]، قال ابن عاشور:«فتنكير(ليلاً) للتعظيم، بقرينة الاعتناء بذكره مع علمه من فعل (أسرى)، وبقرينة عدم تعريفه، أي هو ليل عظيم باعتبار جعله زمنًا لذلك السري العظيم، فقام التنكير هنا مقام ما يدل على التعظيم »[4].

[1] التحرير والتنوير، ج (15)، ص 158.

[2] للتوسع ينظر: الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير، ص 42 إلى 73.

[3] ينظر: الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير، ص 40– 74 .

[4] التحرير والتنوير، ج (15)، ص 11- 12.

- **التهويل**: كقوله تعالى:﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[التوبة:90]، قال ابن عاشور:«وتنكير عذاب للتهويل والمراد به عذاب جهنّم»[1]، أفاد التنكير في كلمة "عذاب" التهويل.

- **النوعية**: كقوله تعالى:﴿ وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ﴾[البقرة:23]،قال ابن عاشور؛ « والتنكير للإفراد أو النوعية، أي بسورة واحدة من نوع السور وذلك صادق بأقل سورة ترجمت باسم يخصّها»[2].

- **العموم**: كقوله تعالى:﴿ فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾[يونس:98].

قال ابن عاشور؛«ووقوع "قرية" وهو نكرة في مساق الإثبات أفاد العموم بقرينة السياق»[3] فالتنكير في (قريةٌ) أفاد وظيفة التعميم.

- **التقليل**: قوله تعالى:﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾[البقرة:263] قال ابن عاشور؛« وتنكير{ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ} للتقليل، أي أقلُّ قول معروف خير من صدقة يتبعها أذى»[4].

4/إبراز مغازي التركيب وأسرار الأساليب:

يسعى الشيخ ابن عاشور إلى إبراز ما يخفى على القارئ غير المتخصص أو حتى المتخصص أحيانا من معاني الكثير من التراكيب اللغوية، وما وراء رسم حروفها، وهذا الذي قد خفي قد يكون هو الغاية من

[1] التحرير والتنوير، ج (10)، ص 293.
[2] نفسه، ج (1)، ص 337.
[3] نفسه، ج (11)، ص 289.
[4] نفسه، ج (3)، ص 47.

توظيف هذه التراكيب في هذا المقام أو ذاك[1]، ومن النماذج التي يبرز فيها ابن عاشور بعض أسرار التراكيب نذكر منها ما يلي:

- قال تعالى:﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِم وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَاب عَظِيمٌ﴾[7]، قال بن عاشور:« وفي تقديم السمع على البصر في مواقعه من القرآن دليل على أنه أفضل فائدة لصاحبه من البصر فإن تقديم مؤذن بأهمية المقدم وذلك لأن السمع آلة لتلقي المعارف التي بها كمال العقل، وهو وسيلة بلوغ دعوة الأنبياء إلى أفهام الأمم على وجه أكمل من بلوغها بواسطة البصر لو فقد السمع»[2].

- قال تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ أَبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[البقرة: 170]، قال بن عاشور: «وإنما خُص هذا النوع بحرفي(إنْ- ولو) في كلام العرب لدلالتهما على ندرة حصول الشرط أو امتناعه، إلا أنه إذا كان ذلك الشرط نادر الحصول جاءوا معه بأن ...، وإذا كان ممتنع الحصول في نفس الأمر جاءوا معه بـــــ"لو" كما في هذه الآية، وربما أتوا بـــ"لو" لشرط شديد الندرة، للدلالة على أنه قريب من الممتنع، فيكون استعمال لو معه مجازا مرسلا تبعيا»[3].

4_ الحجاج:

إنّ المدونة التفسيرية مادة ثرية يكثر فيها الحجاج، من حيث هو حدث قائم على مبدإ إقناع الجمهور بحقائق تبني واقعا جديدا، وتصورات ومعتقدات هي في نظر المحاجُ صائبة، ما على الجمهور إلاّ الإقتناع بها والعمل بها. وتكون درجة الإقناع مرتبطة بكفاءة المحاجج أو المفسر مثلا[4].

---

[1] ينظر: الطاهر شارف، المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، ص 144.

[2] التحرير والتنوير، ج (1)، ص 258.

[3] التحرير والتنوير، ج (2)، ص 109.

[4] ينظر: علي بن عبد العزيز الشعبان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل(بحث في الأشكال والاستراتيجيات)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت_ لبنان، ط1، 2010، ص 259_260.

من المباحث الحجاجية التي اهتم بها ابن عاشور في تفسيره تناسب الآيات وأسباب النزول، واهتمامه بالسياق، واستشهاده بالحديث والشعر، وكذا توظيفه للآليات الحجاجية من استعارة وكناية وتشبيه ومجاز...الخ، والوقوف على أهميتها في الإقناع وتوجيه مقاصد المرسل، وذلك لما لهذه الآليات الحجاجية البلاغية من أثر في استمالة المتلقي والتأثير فيه، ولما لها من قدرة فائقة وعجيبة تؤثر في العقل، والقلب، والذهن، فهي تحرك الوجدان وتخاطب العقل والعاطفة والحس[1].

ومن الأمثلة التي سنقتصر على ذكرها لنبيِّن من خلالها أنّ ابن عاشور قد وظف في تفسيره الآليات الحجاجية البلاغية، ما يلي:

4-1/ حجاجية التشبيه: قوله تعالى:﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ(16) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ(17)﴾[البقرة:16_17]، فبعد أن شبه الله سبحانه حال المنافقين حين قصدوا من النّفاق غاية فأخفقت مساعيهم وضاعت مقاصدهم بحال التّجار الذين لم يحصلوا من تجارتهم على ربح على سبيل التمثيل، يقول ابن عاشور:«{مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا} أعقبت تفاصيل صفاتهم بتصوير مجموعها في صورة واحدة، بتشبيه حالهم بهيئة محسوسة وهذه طريقة تشبيه التمثيل، إلحاقا لتلك الأحوال المعقولة بالأشياء المحسوسة، لأنّ النفس إلى المحسوس أميل »[2]، إنّ ابن عاشور في تحليله لهذه الآية قد طرق آلية بلاغية حجاجية ألا وهي التشبيه، ذلك أنّ التمثيل له بعد إقناعي، وله قوة في التأثير بفضل خصائصه الفنية والبلاغية التي تقّرب المقاصد إلى النفس في صورة مثيرة، وقد استُعمل هنا لعقد الصلة بين السياق المشاهد والسياق الغائب، لاستحضار الحجة التي إدخلت في الخطاب[3].

[1] ينظر: أمبارك بن مصطفى، المنحى التداولي في تفسير الكشاف للزمخشري، ص 221 و251

[2] التحرير والتنوير، ج(1)، ص 302.

[3] ينظر: عيسى تومي، الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني_ سورة البقرة أنموذجا_ ، ص 152.

4-2/ حجاجية الاستعارة: تعدّ الاستعارة الحجاجية من الآليات اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، لأجل تحقيق أهدافه الحجاجية، وهي النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التخاطبية والتواصلية، فهي تهدف إلى الإقناع والاستدلال[1].

قال تعالى:﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[مريم:4]،جاءت هذه الآية في سياق الدعاء الذي توجه به سيدنا زكرياء إلى الله تعالى، فاستهل هذا الدعاء بثلاث حجج للوصول إلى النتيجة المتوخاة:

حجة1: ربي إني وهن العظم مني.

حجة2:اشتعل الرأس شيبا.

حجة3: لم أكن بدعائك ربي شقيا.

إذن فهذه الحجج تخدم نتيجة واحدة وهي: أن يهب الله له ولدا صالحا يرث عمله وشريعته، إلاّ أنّ الحجة الثانية ذات التركيب الاستعاري تتوفر على طاقة حجاجية جعلتها أقوى من غيرها من الحجج لأنّ الحجاج بالمجاز أقوى من الحقيقة[2]، حيث يذهب ابن عاشور في تفسيره لهذا الملفوظ إلى القول: « وشبّه عموم الشّيب شعر رأسه أو غلبَتَه عليه باشتعال النّار في الفحم بجامع انتشار شيء لامع في جسم أسود تشبيها مركبا تمثيليا قابلا لاعتبار التفريق في التشبيه، فشبه الشعر الأسود بفحم والشعر الأبيض بالنار على طريق التمثيلية المكنية ورمز إلى الأمرين بفعل "اشتعل"»[3]. إذن فالعلاقة هنا بين المشبه (الشيب) والمشبه به (النّار) تجعل حضور المعنى في ذهن المتلقي أقوى.

كخلاصة هنا يمكننا القول أن ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير قد اهتم بإظهار بلاغة القرآن الكريم وبيان إعجازه، وبالتالي فقد كان للتداولية حضور بارز في تفسيره وذلك من خلال احتفاءه

[1] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص 452.

[2] ينظر: أمبارك بن مصطفى، المنحى التداولي في تفسير الكشاف للزمخشري، ص 253.

[3] التحرير والتنوير، ج (16)، ص 64.

الواضح بالقيم التداولية من مراعاة أساليب الكلام المختلفة وتحديد أغراضها ومقاصدها، والاهتمام بمعاني النحو في بعدها الاستعمالي الوظيفي واعتماد السياق اللغوي والسياق المقامي (أسباب النزول)، ومقام الخطاب القرآني وملابساته ومراعاة حال المخاطبين وغيرها، وكذا توظيفه للآليات البلاغية التي أعطت قوة للجانب الإقناعي الحجاجي في الخطاب، لأنّ هذه الآليات البلاغية «وظيفتها جعل الغائب مشاهدا لإظهار المجرد في شكل المحسوس ولتقوية الشعور لدى المتلقي بحضور الأشياء من أجل حمله على الإقتناع وللتأثير فيه»[1].

[1] عبد الله صولة، ألْحِجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 495.

الفصل الثالث: القيم التداولية في تفسير سورة الكهف

أولا: التعريف بالسورة وأسباب نزولها

1- التعريف بسورة الكهف

2- أسباب نزول سورة الكهف

3- القصص المذكورة في سورة الكهف

ثانيا: استخراج بعض القيم التداولية في تفسير ابن عاشور لسورة الكهف

1- بناء تفسير سورة الكهف كخطاب

2- المقصدية

ا3- لسياق

4- الاهتمام بأساليب الكلام وقيمها البلاغية

5- مراعاة المخاطب

6- أساليب الخبر والإنشاء

7- الحجاج

تمهيد:

يعدّ الخطاب القرآني من أقوى النصوص اللغوية بلاغيا كونه من عند الله تعالى، وكونه خطابا حاملا رسالة هداية وخير وتكليف، وموجه إلى مخاطب كوني؛ أي أنه لا يتوسل متلقيا معينا في زمان أو مكان مخصوصين، وإنما هو خطاب موجه إلى البشرية جمعاء، ومتضمنا لدلالات خفية، إضافة إلى كونه يمتلك القوة أو القيمة الإنجازية التي تجعل له تأثيرا في متلقيه فهو يسعى إلى الإقناع، وذلك من خلال ما يتضمنه من قيم تداولية سنحاول أن ندرسها في هذا الفصل التطبيقي محاولين استخراج وتحليل بعض هذه المظاهر و القيم التداولية الواردة في خطاب سورة " الكهف" من خلال تفسير التحرير والتنوير، ولكن قبل البدء في ذلك يجب أن نتطرق أولا إلى التعريف بالسورة وأسباب نزولها.

أولا: التعريف بسورة "الكهف" وأسباب نزولها:

1/ التعريف بالسورة:

تحتل سورة الكهف المرتبة الثامنة عشر في الترتيب المصحفي، وهي السورة الثامنة والستون في ترتيب نزول السور، تقع في الجزء الخامس عشر والسادس عشر من المصحف الشريف، وهي من السور المكية باتفاق جميع المفسرين، نزلت بعد سورة " الغاشية" وقبل سورة" الشورى، وآياتها مائة وعشرة، وهي من السور التي نزلت جملة واحدة، جاء في تفسير التحرير والتنوير:« روى الديلمي في مسند الفردوس عن أنس قال: نزلت سورة الكهف جملة معها سبعون ألفًا من الملائكة »[1]، وهي إحدى سور خمس بُدئت بـــ"الحمد لله" ، وهذه السور هي : الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر[2].

[1] التحرير والتنوير، ج (15)، ص 242.

[2] محمد علي الصّابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت- لبنان، ط 4، 1981، مج (2)، ص 181.

2/ أسباب نزول السورة:

يذكر الشيخ ابن جرير الطبري رواية في تفسيره حول أسباب نزول سورة "الكهف" يقول فيها إنّ جماعة من المشركين لما أهمهم أمر النبي صل الله عليه وسلم وازدياد عدد المسلمين معه وكثُر تساؤلُ الوافدين إلى مكة من قبائل العرب عن أمر دعوته، بعثوا النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي مُعيط إلى أحبار اليهود بالمدينة يستفسرونهم عن موقفهم من دعوة الرسول صل الله عليه وسلم، وهم بذلك يبحثون عن شيء يستطيعون به مواجهة النبي صل الله عليه وسلم، وتكذيبه فاقترح اليهود عليهما ثلاثة أسئلة، قالوا:

سلوه عن ثلاث؟ فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل، سلوه عن فِتية ذهبوا في الدّهر الأول ما كان أمرهم؟ فإنه قد كان لهم حديثٌ عجيبٌ، وسَلُوه عن رجل طوّافٍ قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربها، ما كان نبؤُه؟ وسَلُوه عن الرّوح ماهو؟ فإن أخبركم بذلك فإنه نبيٌّ فاتَّبِعوه، وإن هو لم يُخبركم فهو رجلٌ متقولٌ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فرجع الرجلان إلى قريش وأخبرا أهلها، وبعثوا بنفر من المشركين إلى الرسول صل الله عليه وسلم ليسألوه عن هذه الثلاث؛ فقال لهم الرسول صل الله عليه وسلم: "أخبركم بما سألتم عنه غدا" وهو ينتظر وقت نزول الوحي عليه دون أن يقول "إن شاء الله".

فمكث الرسول صل الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يُحدِثُ الله إليه في ذلك وحيا، ولا يأتيه جبريل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غدا، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه. وحتى أحزن رسول الله صل الله عليه وسلم مُكْثُ الوحي عنه، وشقَّ عليه ما يتكلم به أهل مكة.

ثم جاءه جبريل السلام من الله عزوجل بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر أصحاب الفتية، والرجل الطوّاف، وقول الله عزوجل: ﴿ويسألونك عن الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ قُلِ من أمرِ ربّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً﴾[الإسراء:85]. قال ابنُ إسحاق:

فبلغني أن رسول الله صل الله عليه وسلم افتتح السورة فقال: ﴿ **الْحَمْدُ لِلهِ الذِي أَنْزَلَ عَلَىَ عَبْدِهِ الْكِتَابَ** ﴾. يعني محمدا، إنك رسولى في تحقيق ما سألوا عنه من نبوَّتِه.[1]

نستخلص أن السورة الكريمة جاءت ردا على أسئلة اقترحها أحبار اليهود، ووجهها المشركون إلى الرسول صل الله عليه وسلم قصد تعجيزه، فنزلت السورة لتكون جوابا شافيا وكافيا عن أسئلة المشركين.

3/ القصص المذكورة في سورة الكهف:

لقد بنيت سورة الكهف بناءً قصصيا، حيث غلب هذا الطابع على كامل السورة، فقد عرضت لنا السورة أربع قصص تعد من روائع قصص القرآن الكريم لما تحمله من قيم أخلاقية وعقائدية، وهي :

- قصة أصحاب الكهف: وهي قصة التضحية بالنفس في سبيل العقيدة، وغرض هذه القصة هو العصمة من فتنة الدين[2].
- قصة صاحب الجنتين: تصور لنا كيف يعتز المؤمن بإيمانه في وجه المال والجاه والزينة، فغرض هذه القصة هو العصمة من فتنة المال. ثم تليها في وسط السورة إشارة إلى قصة آدم عليه السلام و إبليس.[3]
- قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر: وهي قصة التواضع في سبيل طلب العلم، وما جرى من الأخبار الغيبية التي أطلع الله عليها ذلك العبد الصالح" الخضر" و لم يعرفها موسى عليه السلام حتى أعلمه بها الخضر كقصة السفينة، وحادثة قتل الغلام، وبناء الجدار.[4]

---

[1] ينظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (تح. عبد الله بن عبد المحسن التركي)، دار هجر، القاهرة_ مصر، ط 1، 2001، ص 143_ 144.

[2] صفوة التفاسير، مج(2)، ص 181.

[3] سيّد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة- مصر، ط32، 2003، مج (1)، ص 256.

[4] صفوة التفاسير، ج(2)، ص 181.

- قصة ذو القرنين: وردت في نهاية السورة، وتدور أحداثها حول ملك عظيم مكّن الله تعالى له بالتقوى والعدل وأن يبسط سلطانه على المعمورة، وأن يملك مشارق الأرض ومغاربها، وما كان من أمره في بناء السد العظيم.[1]

ثانيا: استخراج بعض القيم التداولية من سورة الكهف من خلال تفسير التحرير والتنوير:

بناء تفسير سورة الكهف كخطاب[2]: لقد أخذا فكرة هذه الخطاطة من عند مفتاح بن عروس بمقال له بعنوان وجهة الخطاب في سورة المؤمنون، وبنينا عليه تفسير سورة الكهف عند ابن عاشور:

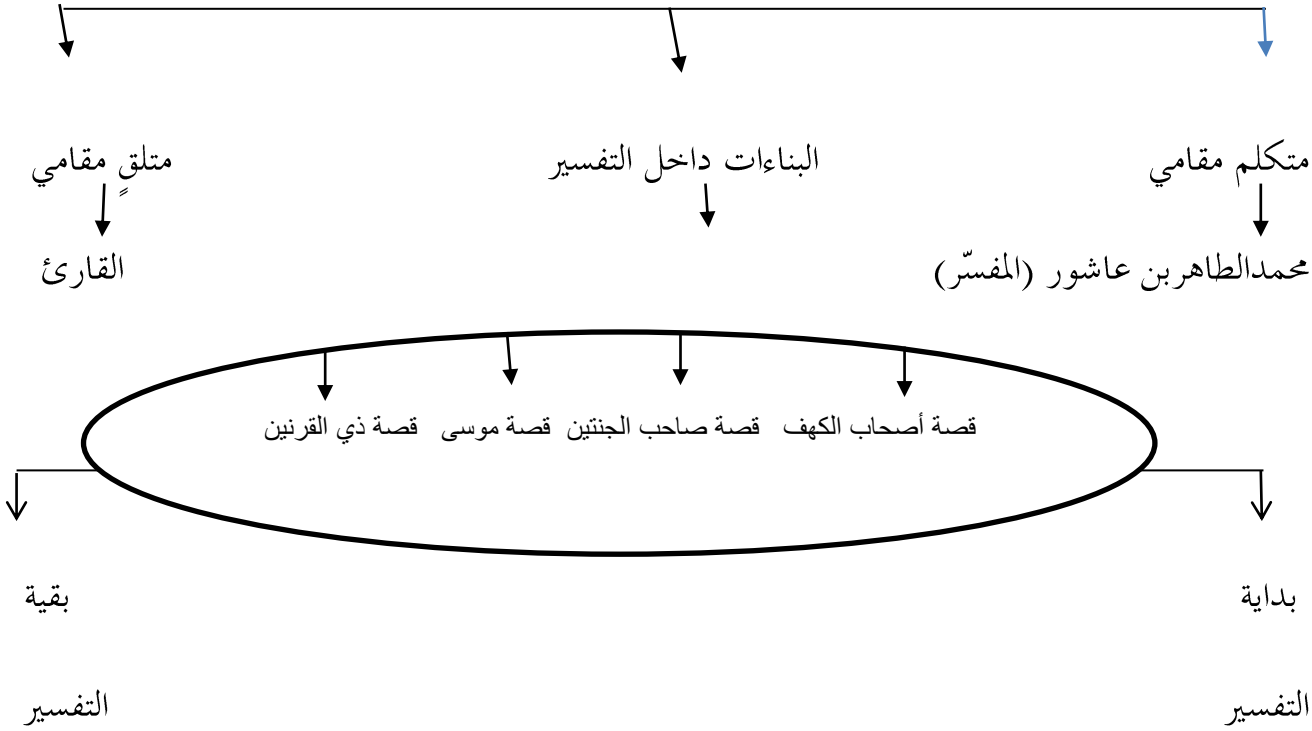

1) المقصـــديـــــــــــــــة:

لقد ذكر ابن عاشور في تفسيره لسورة الكهف مجموعة من المقاصد التي نزلت السورة لأجلها نذكرها كالتالي:

[1] صفوة التفاسير، ج(2)، ص 181.

[2] ينظر: مفتاح بن عروس، وجهة الخطاب في سورة المؤمنون، مجلة اللغة والأدب، مجلة أكاديمية يصدرها معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد 17، جانفي، 2006، ص 156.

1-1- المقاصد العامة للسورة[1]:

- افتتحت السورة بالتّحميد على إنزال الكتاب؛ للتنويه بالقرآن تطاولا من الله تعالى على المشركين وملقنيهم من أهل الكتاب.

- إنذار المعاندين الذين نسبوا لله ولدا.

- بشارة المؤمنين.

- تسلية الرسول صل الله عليه وسلم.

- التزكية لا تُنال بالافتتان بالحياة الدّنيا.

- التحذير من كيد الشيطان باعتباره عدّو.

- إرشاد النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيته.

- التذكير بعواقب الأمم المكذبة للرّسل.

- إبطال الشرك ووعيد أهله، ووعد المؤمنين بالخير.

1-2- المقاصد الخاصة: سنحاول أن نقتصر هنا على ذكر نموذج اخترناه من النماذج المذكورة في السورة حاولنا من خلاله استخراج المقاصد التي ذكرها ابن عاشور وهو ما يتصل بقصة سيدنا موسى مع الخضر.

1/قصة سيدنا موسى مع الخضر تبدأ من قوله تعالى﴿ قَالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمتَ رُشْدًا﴾(66)، إلى قوله﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا(71) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنِ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا(72) قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيْتُ ولاَ

[1] ينظر: التحرير والتنوير، ج (15)، ص 245 -246.

تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا(73)فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا(74) قَالَ أَلَمْ لَّكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا(75) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَّدُنِي عُذْرًا(76)فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَها فَأَبَوْا أَنْ يُّضَيفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيهِ أَجْرًا﴾(77) وتنتهي عند قوله تعالى﴿ذَلِكَ تَأْوِيْلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَّلَيْهِ صَبْرًا(82)﴾.

تحليل القصة: من المقاصد الخاصة التي عالجتها هذه القصة وبينها ابن عاشور هي كالآتي[1]:

– أنّ المقصود من هذه السورة فيه نوع من البيان والتربية لسيدنا موسى عليه السلام لأنّ بداية القصة أنه لما سئل موسى عن أعلم الناس قال أنا و لم ينسب العلم لله سبحانه وتعالى.

– أنّ من أصول التعليم أنْ ينبه المُعلم المتعلم بعوارض موضوعات العلوم الملقنة لاسيما إذا كانت في معالجتها مشقة.

– مشروعية ضيافة عابر السبيل إذا نزل بأحد من الحي أو القرية.

– أنَّ الأمور لا تجري على ظواهرها فما كان يراه موسى منكرا كان في الحقيقة هو تغيير يراد به إصلاح الأمور وهذا القصد الخفي تكلم عنه ابن عاشور بقوله:« وتصرف الخضر في أمر السفينة يرعي المصلحة الخاصة عن إذن من الله بالتصرف في مصالح الضعفاء إذ كان الخضر عالما بحال الملك، أو كان الله أعلمه بوجوده حينئذ، فتصرف الخضر قائم مقام تصرف المرء في ماله بإتلاف بعضه لسلامة الباقي، فتصرفه الظاهر إفساد وفي الواقع إصلاح لأنه من ارتكاب أخف الضرين»[2].

– وأمّا تصرفه في قتل الغلام فتصرف بوحي من الله جارٍ على قطع فساد خاص علمه الله وأعلم به الخضر بالوحي، وذلك أنّ الله علم من تركيب عقل الغلام وتفكيره أنّه عقل شاذ وفكر منحرف طبع

[1] ينظر: التحرير والتنوير، ج(15)، ص 372.
[2] نفسه، ج(16)، ص 13.

عليه بأسباب معتادة من انحراف طبع وقصور إدراك، فالله أراد اللطف بأبويه بحفظ إيمانهما وسلامة العالَم من هذا الطاغي لطفا أرداهُ الله خارقاً للعادة جاريا على مقتضى سبق علمه، ففي قتل الغلام مصلحة للّدين بحفظ أتباعه من الكفر، وهو مصلحة خاصة فيها حفظ الّدين، ومصلحة عامة لأنّه حق لله تعالى[1].

- أنّ أهم ما يجب أن يتّسم به طالب العلم هو أن يتحلى بالصبر و الطاعة للمعلم وهذا القصد يستدل عليه من قول ابن عاشور: وأكد الموصول الأول الواقع في قوله" سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا" تأكيدا للتعريض باللّوم على الاستعجال وعدم الصبر[2].

- كذلك من المقاصد التي يستدل عليها من تحليل ابن عاشور لهذه القصة؛ «تواضع الخضر لأن المقام مقام الإعلام بأنّ الله أطلعه على ذلك وأمره فناسبه التواضع فقال "فخشينا" "فأردنا" وذلك لقصد إظهار أنه مشارك لغيره في الفعل»[3].

2) السياق:

إنّ للسياق دوراً أساسيًا في فهم النص القرآني، وتحديد مقاصده، وإيراد دلالات الآيات القرآنية، فقد رأينا في الفصل السابق أنّ السياق أنواع؛ سياق لغوي، وسياق مقامي، وسنحاول هنا أنّ نبحث في تفسير ابن عاشور لسورة الكهف كيف استثمر هذا السياق بنوعيه السياق اللغوي، والسياق المقامي.

2-1- السياق اللغوي: من الآيات التي بين فيها ابن عاشور أنّ معناها لا يتحدد إلاّ بمعرفة السياق نعرض النماذج الآتية:

[1] التحرير والتنوير، ج(16)، ص 13.
[2] نفسه، ج (15)، ص 15.
[3] ينظر: نفسه، ج(16)، ص 13.

قوله تعالى:﴿**قَيّماً لّيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيْدًا مّن لّدُنْهُ وَيُبَشّرَ المؤمنين الذينَ يَعمَلُونَ الْصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمُ أَجْرًا حَسَنًا(2)**﴾يقول ابن عاشور «وحذف مفعول "ينذر" لدلالة السياق عليه لظهور أنّه ينذر الّذين لم يؤمنوا بهذا الكتاب ولا بالمنزل عليه، ولدلالة مقابله عليه في قوله{ وَيُبَشّرَ المؤمنين}»[1]، فالحذف عند ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية دلّ عليه السياق باعتباره قرينة تساهم في تحديد المعنى، وهذا القول يؤكد على أنّ ابن عاشور قد استحضر السياق اللغوي.

قوله تعالى:﴿ **وَيُنْذِرَ الّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا**﴾**[4]**، يقول ابن عاشور: «هذا تعليل آخر لإنزال الكتاب على عبده، باعتبار أنّ المراد هنا إنذار مخصوص مقابل لما بَشر به المؤمنين...فإذا جَرَيْتَ على تخصيص البأس في قوله (بَأْسًا شَدِيْدًا) بعذاب الدنيا كما تقدم كان هذا الإنذار مغايرا لما قبله؛ وإن جريتَ على شمول البأس للعذابين كانت إعادة فعل (ينذر) تأكيدًا»[2].إنّ تحليل ابن عاشور لهذه الآية تضمَّن قيمة تداولية تمثلت في قوله إنّ المعنى والمقصد أي (المراد) لا يتحدد إلاّ باعتبار السياق لأنك إذا أجريت الفعل على التخصيص كان معناه مخالفا لجريه على الشمول وفي هذا أثر واضح للسياق اللّغوي.

قوله تعالى:﴿**وإذا قَالَ مُوسى لِفَتَاهُ لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَينِ أَو أَمْضِيَ حُقُبًا**﴾[60]، قال ابن عاشور: «استعير (لا أبرح) لمعنى: لا أترك، أولا أكف عن السير حتى أبلغ مجمع البحرين. ويجوز أن يكون مضارع برح الذي هو فعل ناقص لا يستعمل ناقصا إلاّ مع النفي ويكون الخبر محذوفا بقرينة الكلام أي لا أبرح سائرا»[3]. فهنا حذف الخبر لدلالة السياق عليه، كذلك استحضر هنا ابن عاشور أثر السياق اللّغوي في حمل دلالة لا أبرح على معنى: لا أترك، وذلك بالنظر إلى ماقبلها وما بعدها في الآية، أي تحديده هنا للمعنى المعجمي لكلمة لا أبرح كان من منطلق النظر في السياق اللّغوي.

[1] التحرير والتنوير، ج(15)، ص 249.
[2] نفسه، ج (15)، ص 250.
[3] نفسه، ج(15)، ص 361.

قوله تعالى:﴿**أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا**﴾**[102]**، يقول ابن عاشور:« وإظهار الذين كفروا دون أن يقال: أفحسبوا، بإعادة الضمير إلى الكافرين في الآية قبلها، لقصد استقلال الجملة بدلالتها، وزيادة في إظهار التوبيخ لهم»،[1] يشير ابن عاشور في هذه الآية على أنّ في إظهار إعادة لفظ الكافرين دون أن يستعمل الضمير كان من وراءه قصد، ألا وهو زيادة إظهار التوبيخ لهم، وهذا القول فيه قيمة تداولية تكمن في استحضار ابن عاشور لأثر السياق اللّغوي في معرفة الغرض الذي أداه إظهار اللفظ.

2-2- سياق الحال(المقام):

قوله تعالى: ﴿ **وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا**﴾**[4]**، يقول ابن عاشور: «والمراد بـــ ﴿**الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا**﴾ هنا المشركون الّذين زعموا أن الملائكة بنات الله، وليس المراد به النّصارى الّذين قالوا بأنّ عيسى ابن الله تعالى، لأنّ القرآن المكي ما تعرض لهذا»[2].

هنا يتبين لنا أنّ ابن عاشور ذهب في تفسيره للآية مذهبا تداوليا فقد استفادة من المقام كون سورة الكهف نزلت بمكة والمعني بالخطاب هم المشركون، فتحليله هذا انطوى على قيمة تداولية تمثلت في عنايته بالمقام وبأثره في تفسير الخطاب القرآني.

قال تعالى﴿**فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا**﴾**[71]**، قال ابن عاشور: «والاستفهام في "أخرقتها" للإنكار، ومحل الإنكار هو العلة بقوله" لتغرق أهلها"، لأنَّ العلة ملازمة للفعل المستفهم عنه...والإمر: هو العظيم المفظع، لذلك فسره الراغب بالمنكر لأن المقام دال على شيء ضار، ومقام الأنبياء في تغيير المنكر مقام شدة وصراحة»[3]، يتضح لنا من تفسير

[1] التحرير والتنوير، ج(16)، ص 44.
[2] نفسه، ج(15)، ص 251.
[3] نفسه، (15)، ص 375.

ابن عاشور لهذه الآية أنّه وظف المقام لمعرفة مدلول الآية واتضاح معناها، وفي هذا القول قيمة تداولية تكمن في استحضار ابن عاشور لدور المقام.

قال تعالى:﴿**قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا**﴾[75]،قال ابن عاشور:« كان جواب الخضر في هذه الآية بزيادة ما حكي في الآية بكلمة "لك" وهو تصريح بمتعلق فعل القول، فإذا كان المقول له معلوما من مقام الخطاب كان في التصريح بمتعلق فعل القول تحقيق لوقوع القول وتثبيت له وتقوية والداعي لذلك أنه أهمل العمل به».[1]يتبين لنا من تفسيره لهذه الآية أنّه يؤكد على أنّ المخاطب إذا كان معلوما من مقام الخطاب كان التصريح بالقول لغرض تداولي ألا وهو تحقيق وقوع القول وتثبيته له.

كذلك من القضايا التي لا تفهم إلاّ باستحضار المقام؛ الإشاريات ولاسيما ضمائر المخاطب من ذلك قوله تعالى:﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ والرَّقِيمِ كَانُوا مِن آياتنا عَجَبًا**﴾[9]، فالمقصود بالتاء هنا لا يعرف إلاّ من خلال استحضار المقام الذي يبن لنا أنّ المخاطب هنا هو الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومنه كذلك قوله تعالى ﴿**ويسألونك عن ذي القرنين**﴾**[83]**، فهنا لا يمكننا معرفة الضمير في يسألونك إلاّ باستحضار المقام الذي يتمثل في أسباب النزول.

ومن خلال هذه النماذج المعروضة يتبين لنا أنّ ابن عاشور قد استحضر السياق بنوعيه في تفسيره لسورة الكهف وفهم دلالات الآيات وكذا معرفة ما تشير إليه الضمائر.

3) الاهتمام بأساليب الكلام وقيمها البلاغية

3-1- التقديم والتأخير:

قال تعالى:﴿**الْحَمْدُ لِلهِ الذِي أَنْزَلَ عَلَىَ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجعَلْ لَّهُ عِوَجاً**﴾**[1]**، يقول ابن عاشور: «فإن قلت وقع الاهتمام بالحمد مع أنّ ذكر اسم الله تعالى أهم فكان الشأن تقديم اسم الله تعالى... قلت قدم الحمد لأنّ المقام هنا مقام الحمد إذ هو ابتداءُ أولى النعم بالحمد وهي نعمة تتزيل

[1] التحرير والتنوير، ج (16)، ص 5.

القرآن الذي فيه نجاح الدارين، فتلك المنة من أكبر ما يحمد الله عليه من جلائل صفات الكمال... وذلك يذكِّر بوجوب حمده وأن لا يُغفل عنه فكان المقام مقام الحمد لا محالة، فلذلك قدم وأزيل عنه ما يؤذن بتأخره لمنافاته الاهتمام».[1]

تقديم الأدنى على الأعلى:

قال الله عز وجل:﴿**مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرةً وَلاَ كَبِيرةً إِلاَّ أَحْصَاهَا**﴾[49]، يقول ابن عاشور: «وتقديم ذكر الصغيرة لأنها أهم من حيث يتعلق التعجب من إحصائها، وعطفت عليها الكبيرة لإرادة التعميم في الإحصاء لأن التعميم أيضا مما يثير التعجب. فقد عجبوا من إحاطة كاتب الكتاب بجميع الأعمال»[2].

يتضح أن تقديم" الصغيرة" على "الكبيرة" كان لغرض بلاغي تداولي ألا وهو التعجيب من "الكتاب" الذي لا يُبقي صغيرة ولا كبيرة في جميع أحوالها إلا في حالة إحصائه إياها.

قوله تعالى:﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ**﴾**[13]**، يقول ابن عاشور:« وتقديم المسند إليه على المسند الفعلي في جملة (نحن نقص عليك) يفيد الاختصاص، أي نحن لا غيرنا يقص قصصهم بالحق»[3]. يتبين لنا من تفسيره لهذه الآية أنّ تقديم المسند إليه على المسند الفعلي كان لأجل غرض بلاغي تداولي وهو الاختصاص.

تقديم الظرف على عامله:

قوله تعالى:﴿**فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا**﴾[71] ، يقول ابن عاشور:«وبني نظم الكلام على تقديم الظرف على عامله للدلالة على أن الخرق

[1] التحرير والتنوير، ج(1)، ص 158.
[2] نفسه، ج(15)، ص 338.
[3] نفسه، ج(15)، ص 271.

وقع بمجرد الركوب في السفينة، لأن في تقديم الظرف اهتماما به، فيدل على أن وقت الركوب مقصود لإيقاع الفعل فيه.»[1]. فتقديم الظرف في هذه الآية أدى غرضًا بلاغيًا ومقصدًا تداوليًا، اتضح من خلاله أنّ الخرق وقع بمجرد الركوب في السفينة.

تقديم المسبّب على السبب:

قوله تعالى:﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي البَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**﴾**[79]**، قال ابن عاشور: «وجملة (فأردت أن أعيبها) متفرعة عن جملتي "فكانت لمساكين"،" وكان وراءهم ملك"، فكان حقها التأخير عن كلتا الجملتين بحسب الظاهر، ولكنها قدمت خلافا لمقتضى الظاهر لقصد الاهتمام والعناية بإرادة إعابة السفينة حيث كان عملا ظاهره الإنكار وحقيقته الصلاح زيادة في تشويق موسى إلى علم تأويله، ولأن كون السفينة لمساكين مما يزيد السامع تعجبا في الإقدام على خرقها. والمعنى فأردت أن أعيبها وقد فعلت، وإنما لم يقل: فعبتها ليدلّ على أن فعله عن قصد وتأمل».[2]

ينطوي هذا التحليل على قيمة تداولية تمثلت في أنّ التقديم في هذه الآية حقق غرضا بلاغيًا تداوليًا؛ ألاّ وهو العناية والاهتمام، وكذا إشارته إلى قوله (فأردت أنْ أعيبها) على أنّ فعله هذا عن قصد وتأمل وهذا القول كذلك فيه قمية تداولية تشير إلى المقصدية.

فالتقديم والتأخير عند ابن عاشور قد أبان عن مقصدية المتكلم، ولم يقتصر فيه على بيان الأهم وهو المقدم، وإنما يخرج إلى أغراض بلاغية تداولية عديدة تعرف من سياق الكلام كالاختصاص والتعجيب.

3-2 التعريف والتنكير:

[1] التحرير والتنوير، ج(15)، ص 375.

[2] نفسه، ج (16)، ص 12.

قوله تعالى﴿ **الْحَمْدُ لِلهِ الذِي أَنْزَلَ عَلَىَ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجعَلْ لَّهُ عِوَجاً**﴾ **[1]**، يقول ابن عاشور: والتعريف فيه بالألف واللام تعريف الجنس لأن المصدر هنا في الأصل عوض عن الفعل ... ومعنى تعريف الجنس أن هذا الجنس معروف عند السامع فإذا قلت الحمد لله أو العجب لك فكأنك تريد أن هذا الجنس معروف لديك ولدى مخاطبك لا يلتبس بغيره،... وتعريف الجنس يفيد توكيد اللفظ وتقريره وإيضاحه للسامع.[1]إن تفسير ابن عاشور لهذه الآية ينطوي على قيمة تداولية تتمثل في تحديده للغرض الذي يؤديه التعريف في(الحمد لله) ألا وهو توكيد اللفظ وإيضاحه للسامع، ففي تحليله هذا كذلك إشارة إلى اهتمامه بالمخاطب(السامع) الذي يعدّ أحد عناصر العملية التواصلية التي ركزت عليه الدراسة التداولية.

كذلك يقول ابن عاشور: والتعريف في (الكتاب) للعهد التقديري.[2]فمعنى قوله هذا أنّ الكتاب معهود فهو حاضر في الأذهان معروف عند الناس، وفي هذا القول إشارة إلى ما يعرف في التداولية بالافتراض المسبق، أي أنّ المخاطبين هنا على علم مسبق بالكتاب.

قوله تعالى:﴿**وَإِذِ اِعْتَزَلْتُمُوهُم ومَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ فَأوُواْ إِلى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِن أَمْرِكُمْ مَرفِقًا**﴾**[16]**، قال ابن عاشور: «والتعريف في "الكهف" يجوز أن يكون تعريف العهد، بأن كان الكهف معهودا عندهم يتعبدون فيه من قبل، ويجوز أن يكون تعريف الحقيقة مثل" وخاف أن يأكله الذئب"، أي فأووا إل كهف من الكهوف»[3]، فالتعريف هنا استثمره ابن عاشور ليس لمجرد التعريف بالمفهوم الصرفي المجرد، وإنّما ربطه مع دلالة الكهف بمفهومه المقامي.

[1] ينظر: التحرير والتنوير، ج (1)، ص 159.
[2] نفسه، ج(1)، ص 219.
[3] نفسه، ج (15)، ص 277.

قال تعالى:﴿**وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ** ﴾**[17]**، قال : «والتعريف في(اليمين) و(الشمال) عوض عن المضاف إليه، أي يمين الكهف وشماله»[1].

قال تعالى:{**ولاَ تَقُولنَّ لِشَيْءٍ إنّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا**}**[23]**،قال ابن عاشور:« فنظم الآية أنّ اللام في قوله " لشيء" ليست اللام التي يتعدى بها فعل القول إلى المخاطب بل هي لام العلّة،... و(شيء) اسم متوغل في التنكير يفسره المقام، أي لشيء تريد أن تفعله»[2]، تحليل ابن عاشور لهذه الآية احتوى علي قيمة تداولية تمثلت في استحضاره للمقام وذلك من خلال قوله: (لشيء) اسم متوغل في التنكير يفسره المقام أي لشيءٍ مطلق التنكير من الأشياء.

قال تعالى ﴿**حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لاَّ يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً**﴾[93] قال ابن عاشور: وتعريف "السدين" تعريف الجنس، أي بين سدّين معينين، أي اتبع طريقا آخر في غزوة حتّى بلغ بين جبلين معلومين[3]، فالتعريف هنا ربطه ابن عاشور مع دلالة السدين بمفهومها المقامي، أي بلغ بين جبلين معلومين، وفي هذا التعريف غرضا بلاغيا تداوليا ألا وهو تحديده للمكان.

قال تعالى ﴿**وَنُفِخ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا(99)وَعَرَضْنَا جَهَنَّم يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا(100)**﴾ قال ابن عاشور: وفي تنكير الجمع والعرض تهويل.[4] يبين ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية أنّ التنكير في قوله (وعرضناهم)، و(جمعناهم) لم يكن لأجل التنكير بالمفهوم الصرفي المجرد وإنّما كان لغرض بلاغي تداولي تمثلّ في التهويل، وتذكير السامعين بأمر الحشر.

[1] التحرير والتنوير، ج (15)، ص 279.
[2] نفسه، ج (15)، ص 297.
[3] نفسه، ج (16)، ص 31.
[4] نفسه، ج (16)، ص 42.

3-3 الحذف:

حذف المفعول: قوله تعالى﴿**لِّيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيْدًا مّن لّدُنْهُ**﴾،يقول ابن عاشور: والمفعول الأول لـــ"ينذر" محذوف لقصد التعميم، أو تنزيلا للفعل منزلة اللاّزم لأنّ المقصود المنذر به وهو البّأس الشديد تهويلا له ولتهديد المشركين المنكرين إنزال القرآن من الله[1]. حذف المفعول عند ابن عاشور كان لأجل غرض بلاغي تداولي ألا وهو التعميم.

حذف المبتدأ: قوله تعالى﴿**وَقُلِ الحَقُّ مِن رَبِّكُم فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُر**﴾**[29]**، قال ابن عاشور: و(الحق) خبر مبتدأ محذوف معلوم من المقام، أي هذا الحق، والتعبير بـــ(ربكم) للتذكير بوجوب توحيده[2].حذف المبتدأ في هذه الآية دلّ عليه المقام، الّذي يعد قيمة تداولية أبرزها ابن عاشور في تحديده لمعنى هذه الآية.

4) مراعاة المخاطب:

- قوله تعالى:﴿**أَمْ حَسِبْتَ أنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آياتنا عَجَبًا**﴾[9]، يقول ابن عاشور: والخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد: قومه الذين سألوا على القصة. وأهل الكتاب الّذين أغروهم بالسؤال عنها وتطلب بيانها.[3]

القيمة التداولية الموجودة في تفسيره لهذه الآية تجسدت في استحضاره للمخاطب الذي هو النبي صل الله عليه وسلم في شرح الخاطب، ذلك أنّ «تحديد المخاطب، وتوضيح علاقته بالنصّ له أهمية كبيرة في فهم النصّ وتأويله، وبيان إعجازه»[4].

[1] التحرير والتنوير، ج(15)، 248- 249.
[2] نفسه، ج(15)، ص 307.
[3] نفسه، ج(15)، ص 259.
[4] الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، ص 310.

- قوله تعالى ﴿**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاَثَ مائَة سِنِيْنَ وَازْدَادُواْ تِسْعًا**﴾[25]، يقول ابن عاشور: «والمعنى: أن يقدر لبثهم بثلاثمائة وتسع سنين. فعبر عن هذا العدد بأنّه ثلاثمائة سنة وزيادة تسع. ليعلم أن التقدير بالسنين القمريّة المناسبة لتاريخ العرب والإسلام مع الإشارة إلى موافقة ذلك المقدار بالسنين الشمسية التّي بها تاريخ القوم الّذين منهم أهل الكهف وهم أهل بلاد الرّوم... فاليهود الذين لقنوا قريشا السؤال عنهم يؤرخون الأشهر بحساب القمر ويؤرخون السّنين بحساب الدورة الشمسية، فالتفاوت بين أيام السنة القمرية وأيام السنة الشمسية يحصل منه سنة قمرية كاملة في كل ثلاث وثلاثين سنة شمسية. وبهذا تظهر نكتة التّعبير عن التسع السنين بالازدياد»[1].

يكشف ابن عاشور من خلال تفسيره لهذه الآية عن قيمة تداولية تتمثل في مراعاة أحوال المخاطبين وذلك من خلال معرفته بأنّ الخطاب في هذه الآية موجه للعرب، لذلك فقد جاء في مقامهم؛ أي جاء بما يعرفونه، وممّا هو معروف أنّ العرب يقدرون الحساب بالسنين القمرية لذلك قال(وازدادوا تسع) و لم يقل ثلاثمائة وتسعة لما في كلمة ازدادوا من دلالة دقيقة وسر بياني.

- قوله تعالى ﴿**إِنَّ الَّذينَ أَمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً**﴾**[30]**، قال ابن عاشور: «جملة مستأنفة استئنافا بيانيا مراعى فيه حال السامعين من المؤمنين، فإنهم حين يسمعون ما أعدّ للمشركين تتشوق نفوسهم إلى معرفة ما أعد للّذين آمنوا ونبذوا الشرك فأعلموا أن عملهم مرعي عند ربهم. وجريا على عادة القرآن في تعقيب الوعيد بالوعد والترهيب بالترغيب»[2].

- قال تعالى:﴿**وَتِلْكَ القُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلنَا لِمهلِكِهِمْ مَّوعِدًا**﴾[59]، قال:« والإشارة بـــ"تلك" إلى مقدر في الذهن، وكاف الخطاب المتصلة باسم الإشارة لا يراد بها مخاطب ولكنها من تمام اسم الإشارة، وتجري على ما يناسب حال المخاطب بالإشارة من واحد أو أكثر»[3].

---

[1] التحرير و التنوير، ج (15)، ص 300-301 .

[2] التحرير والتنوير، ج(15)، ص 309- 310.

[3] نفسه، ج(15)، ص 358.

5) أساليب الخبر والإنشاء:

5_1/ الأسلوب الخبري:

-قوله تعالى﴿ **الْحَمْدُ لِلهِ الذِي أَنْزَلَ عَلَىَ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجعَلْ لَّهُ عِوَجاً (1) قَيّماً لّيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيْدًا مّن لّدُنْهُ وَيُبَشّرَ المؤمنين الذينَ يَعمَلُونَ الْصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمُ أَجْرًا حَسَنًا(2)**﴾.

تضمنت هذه الآية ملفوظا إخباري وهو ما أشار إليه ابن عاشور في تفسيره بقوله: « هي هنا جملة خبرية، أخبر الله نبيئه والمسلمين بأن مستحق الحمد هو الله تعالى لا غيره، فأجرى على اسم الجلالة الوصف بالموصول تنويها بمضمون الصلة ولما يفيده الموصول من تعليل الخبر»[1]، والقوة الإنجازية لهذا الأسلوب االخبري تتمثل في؛(نفي صفة الاعوجاج عن كتاب الله).

- قال تعالى:﴿**مَّالَهُمُ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَّقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا**﴾

تضمنت هذه الآية فعلا كلاميا إخباريا تتمثل قوته الإنجازية في التعجيب لقول ابن عاشور: «وفعل (كبُرت) أصله الإخبار عن الشيء ويستعمل مجازا في الشدة والقوة...، وهو هنا مستعمل في التعجيب من كبر هذه الكلمة في الشناعة بقرينة المقام»[2].

-قال تعالى﴿**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا**﴾**[6]**، تضمنت الآية ملفوظا إخباريا تتمثل قوته الإنجازية في؛ «تحذير الرسول صلى الله صلى الله عليه وسلم من الاغتمام والحزن على عدم إيمان من لم يؤمنوا من قومه»[3].

- قال تعالى﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحسَنُ عَمَلًا (7) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا(8)**﴾، تضمنت الآية أسلوب خبري تتمثل قوته الإنجازية في تهديد المشركين

[1] التحرير والتنوير، ج(15)، ص 246

[2] نفسه، ص 252.

[3] نفسه، ص 254.

وتوعدهم بالهلاك، فمعنى الآية أن الله أعطى المشركين زينة الدنيا كلها وأمهلهم لعلهم يشكرونه، إلا أنهم بطروا النعمة فوعدهم الله بأن يسلب عنهم النعمة فتصير بلادهم قاحلة[1].

- قال تعالى﴿ **هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً**﴾**[15]**، تحمل الآية فعلا إخباريا؛(اتخذوا) يتشكل من قوة إنجازية حرفية هي التقرير وقوة إنجازية مستلزمة تتمثل في الإنكار والتوبيخ، قال ابن عاشور: «وجملة "اتخذوا" خبر عن اسم الإشارة، وهو خبر مستعمل في الإنكار عليهم»[2]، أي أنّ الغرض من هذا الخبر كان لأجل غرض بلاغي تداولي ألا وهو الإنكار.

-قال تعالى﴿ **لَّكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا**﴾[38]، تتضمن هذه الآية ملفوظا إخباريا، ينطوي على قوة إنجازية هي التوكيد و الاعتراف والإقرار بخالقه، يقول ابن عاشور:« والخبر في قوله" هو الله ربي" مستعمل في الإقرار، أي أعترف بأنه ربي خلافا لك»[3].

- قال تعالى﴿**وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا(48)**﴾، تتضمن هذه الآية ملفوظا إخباريًا، تضمّن قوة إنجازية تمثلت في التهديد والتهويل، يقول ابن عاشور:«والخبر في قوله" لقد جئتمونا"مستعمل في التهديد والتغليظ والتنديم على إنكارهم البعث»[4] أي أنّ الخبر في هذه الآية قد أدى غرضًا بلاغيًا تداوليًا تمثل في التهديد والتنديم لإنكار المشركين بيوم البعث.

- قال تعالى﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلا**﴾**[102]**، تحمل هذه الآية ملفوظا إخباريا له قوة إنجازية تمثل في الوعد والترهيب، فالله توعد الكافرين بنار جهنّم خالدين فيها أبدا، يقول ابن عاشور: «وجملة

[1] التحرير والتنوير، ص 256.
[2] نفسه، ج (15)، ص 274.
[3] نفسه، ص 323.
[4] نفسه، ص 336.

"إنّا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا" مقررة لإنكار انتفاعهم بأوليائهم فأكد بأن جهنّم أُعدت لهم نزلا فلا محيص لهم منها ولذلك أكد بحرف(إنّ)»[1].

5-2- الأسلوب الإنشائي

5-2-1/ الأمر والنهي:

- قال تعالى﴿ **إِذْ أَوَىَ الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنَ لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**﴾ [10]، الفعل الكلامي في هذه الآية (آتنا، هيئ لنا) له قوة إنجازية حرفية هي الأمر، وقوة إنجازية مستلزمة تتمثل في الدعاء والتضرع لله عزوجل.

-قال تعالى ﴿**سَيَقُولونَ ثَلاَثَةٌ رَّابِعُهُم كَلْبُهُمْ وَيَقُولونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُّم كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالغَيبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلبُهُم قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُم إلاَّ قَلِيلٌ**﴾ [22]

تحمل هذه الآية فعل كلامي إنجازي (قل) الذي يتشكل بدوره من قوة إنجازية حرفية تتمثل في الأمر، وقوة إنجازية مسلتزمة تتضمن معنى النصح والإرشاد، يقول ابن عاشور:«وجملة {قل ربي أعلم بعدتهم} مستأنفة استئنافا بيانيا لما تثيره جملة﴿سَيَقُولونَ ثَلاَثَةٌ رَّابِعُهُم كَلْبُهُمْ﴾إلى آخرها من ترقب تعيين ما يعتمد عليه من أمر عدتهم، فأجيب بأن يحال العلم بذلك على علاّم الغيوب»[2].

-قال تعالى﴿ **ولاَ تَقُولنَّ لِشَيْءٍ إنّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا(23) إلاَّ أنْ يَّشَاء اللهُ**﴾

في هذه الآية فعل كلامي إنجازي (لا تقولن) الذي يتكون من قوة إنجازية حرفية هي النهي، وقوة إنجازية مستلزمة تتمثل في الوعظ والإرشاد، يقول ابن عاشور:« فالله تعالى نهى رسوله صلى الله عليه

[1] التحرير والتنوير، ج (16)، ص 44.
[2] نفسه، ج(15)، ص 294.

وسلم أن يّعد بفعل شيء دون التقييد بمشيئة الله»[1]،فنلاحظ أن النهي خرج إلى معنى ضمني يُفهم من السياق وهو الإرشاد والنصح.

- قوله تعالى﴿**وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا**﴾[27] تضمنت هذه الآية فعل كلامي إنجازي (اتلُ) الذي يتشكل من قوة إنجازية حرفية هي الأمر، والمقصود منه التعليم بأن يقول ما ألزمه به الله.

- قال تعالى﴿**وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الْدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَن أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَواهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾[28]

تضمنت هذه الآية أفعالا كلامية إنجازية (لاتعد، لا تطع) التي تشكلت حمولتها الدلالية من قوة إنجازية حرفية تمثلت في النهي، وقوة إنجازية مستلزمة تمثلت في النصح والإرشاد، يقول ابن عاشور:« وظاهر" لاتعد عيناك عنهم" نهي العينين أن تعدوا عن الّذين يدعون ربهم، أي تبعد عنهم. والمقصود: الإعراض ولذلك ضمن فعل العدّو معنى الإعراض»[2].

- قوله تعالى﴿ **قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسَيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنَ أَمْرِي عُسْرًا**﴾[73]

تضمنت الآية أفعال كلامية إنجازية " لا تؤاخذني"،" لاَ ترهقني" حيث تنطوي هذه الأفعال على قوة إنجازية حرفية تتمثل في النهي، وقوة إنجازية مستلزمة تتمثل في التعطف والالتماس قال ابن عاشور:« والنهي مستعمل في التعطف والتماس عدم المؤاخذة، لأنه قد يؤاخذه على النسيان مؤاخذة من لا يّصلح للمصاحبة لما ينشأ عن النسيان من خطر(...) لذلك بني كلام موسى على طلب عدم المؤاخذة بالنسيان

[1] التحرير والتنوير، ص295.

[2] نفسه، ج (15)، ص 306.

ولم يبن على الاعتذار بالنسيان، كأنه رأى نفسه محقوقا بالمؤاخذة، فكان كلاما بديع النسيج في الاعتذار»[1].

5-2-2/ الاستفهام:

- قال تعالى﴿ **أَمْ حَسِبْتَ أنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آياتنا عَجَبًا**﴾[9]، تحمل الآية فعلا كلاميا إنجازيا يتمثل في جملة الاستفهام(أم حسبت) الذي يتشكل من قوة إنجازية حرفية تتمثل في الاستفهام وأخرى إنجاية مستلزمة تمثلت في الإنكار والتعجيب، لأن السياق الذي وردت فيه الآية لا يقصد به إنجاز فعل السؤال، وإنما قُصد به إنجاز فعل التعجب والإنكار يقول ابن عاشور: «والاستفهام المقدر بعد(أم) تعجيبي، لانّ التقدير: أحسبت أن أصحاب الكهف كانوا عجبا من بين آياتنا، أي أعجب من بقية القصص»[2].

ـ قوله تعالى:﴿ **هَؤُلاَءِ قَومُنَا اتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ أَلِهَة لَّوْلاَ يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا**﴾[15]

تضمنت الآية فعلا كلاميا إنجازيا " فمن أظلم" الذي تتشكل حمولته الدلالية من قوة إنجازية حرفية هي الاستفهام، وقوة إنجازية مستلزمة تتمثل في الإنكار والتوبيخ، وهذا ما أشار إليه ابن عاشور قائلا:« و(من) استفهامية، وهو إنكار، أي لا أظلمُ ممن افترى·والمعنى: أنّ هؤلاء افتروا على الله كذبا، وذلك أنّهم أشركوا معه غيره في الإلهية فقد كذبوا عليه في ذلك إذا أثبتوا له صفة مخالفة للواقع»[3].

ـ قال تعالى﴿**قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً**﴾[37]، تضمنت هذه الآية فعلا كلاميا إنجازيا؛ (أكفرت بالذي خلقك)، حيث انطوى هذا الفعل على قوة إنجازية حرفية هي؛ الاستفهام، وقوة إنجازية مستلزمة تمثلت في الإنكار والتعجب، لقول

[1] التحرير والتنوير، ص 376.
[2] التحرير والتنوير، ج (15)، ص 259.
[3] نفسه، ص 275.

ابن عاشور: «والاستفهام في قوله(أكفرت بالذي خلقك) مستعمل في التعجب والإنكار، وليس على حقيقته، لأن الصاحب كان يعلم أن صاحبه مشرك بدليل قوله له(ولا أشرك بربي أحدا)»[1].

-قال تعالى:﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلمَلائِكَةِ اسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنَ اَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً**﴾ **[50]**

تضمنت الآية فعلا كلاميا إنجازيا (أفتتخذونه) الذي يتشكل من قوة إنجازية حرفية تتمثل في السؤال، وقوة إنجازية مستلزمة تتمثل في: الإنكار والتوبيخ والتنبيه على الخطأ، لقول ابن عاشور:«والاستفهام مستعمل في الإنكار والتوبيخ للمشركين، إذ كانوا يعبدون الجن».

ـ قوله تعالى:﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْها ونَسِيَ مَا قَدَمَّتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهم أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي أَذَانِهِمْ وَقَرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدواْ إِذًا أَبَدًا**﴾[57]

في هذه الآية فعل كلامي إنجازي (ومن أظلم) الذي يتضمن قوة إنجازية حرفية تتمثل في السؤال، وقوة إنجازية مستلزمة تتمثل في الإنكار، وهذا ما أشار إليه ابن عاشور بقوله: « فـــ (مَن) استفهام مستعمل في الإنكار؛ أي لا أحد أظلم من هؤلاء المتحدث عنهم»[2].

-قال تعالى﴿**فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا**﴾[71]، تضمنت هذه الآية فعلا انجازيا؛ (أخرقتها) الذي يتشكل بدوره من؛ قوة إنجازية حرفية: الاستفهام، وقوة إنجازية مستلزمة: الإنكار، قال ابن عاشور:« والاستفهام في أخرقتها للإنكار، ومحل الإنكار هو العلة بقوله" لتغرق أهلها"»[3].

[1] التحرير والتنوير، ص 322.
[2] نفسه، ج (15)، ص 355.
[3] نفسه، ص 375.

-قال تعالى﴿ **أَفَحَسِبَ الَّذين كَفَرُواْ أَن يَتَّخِذواْ عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزْلاً**﴾[102]، تضمنت الآية فعلا كلاميا إنجازيا (أفحسب) الذي تتشكل حمولته الدلالية من قوة إنجازية حرفية هي الاستفهام، وقوة إنجازية مستلزمة تتمثل في الوعيد والإنكار، يقول ابن عاشور:« والاستفهام إنكاري. والإنكار عليهم فيما يحسبونه يقتضي أن ما ظنوه باطل»[1].

- قال تعالى﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً**﴾[103]، تحمل الآية فعلا كلاميا إنجازيا(هل ننبئكم) الذي يتشكل من قوة إنجازية حرفية هي الاستفهام، وقوة إنجازية مستلزمة هي التهكم، لقول ابن عاشور:« وكذلك افتتاحه باستفهامهم عن إنبائهم استفهاما مستعملا في العَرض لأنّه بمعنى: أتحبون أن ننبئكم بالأخسرين أعمالا. وهو عرض تهكم لأنه منبئهم بذلك دون توقف على رضاهم»[2].فهنا السياق الذي وردت فيه الآية لا يُقصد به إنجاز فعل السؤال وإنّما قُصِد منه إنجاز فعل التهكم.

5-2-3/ النداء:

-قال الله تعالى﴿**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيْهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا**﴾[42]، تضمنت الآية فعلا كلاميا إنجازيا (يا ليتني لم أشرك) يحتوي على قوة إنجازية حرفية تتمثل في النداء، وأخرى مستلزمة تمثلت في التحسر والتوجع، يقول ابن عاشور:« وحرف النداء مستعمل في التلهف، و(ليتني) تمن مراد به التندم، وهذا ندم على الإشراك فيما مضى وهو يؤذن بأنه آمن بالله وحده حينئذ».[3]

- قال تعالى﴿**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرةً وَلاَ كَبِيرةً إِلاَّ أَحْصَاهَا**﴾**[49]**

[1] التحرير والتنوير، ج(16)، ص 43.
[2] نفسه، ج (15)، ص45-46.
[3] نفسه، ص 327.

تحمل هذه الآية فعلا كلاميا إنجازيا(ياويلتنا) الذي يتشكل من قوة إنجازية حرفية تتمثل في النداء، وقوة إنجازية مستلزمة هي الندبة، يشرح الطاهر بن عاشور هذه الآية قائلا:«نداء الويل: ندبة للتوجع من الويل وأصله نداء استعمل مجازا بتنزيل ما لا ينادى منزلة ما ينادى لقصد حضوره»[1].

6) استثمار آليات الحجاج: لقد ورد في تفسير ابن عاشور لسورة الكهف مجموعة من القضايا البلاغية التي تعد في الدرس التداولي بمثابة آليات بلاغية حجاجية، لما لها من تأثير في إقناع المتلقي، فهي تعمل على تقريب المعنى وتجسيده وسنركز من ضمن هذه الآليات على استخراج بعض أساليب البيان والروابط الحجاجية.

6-1: حجاجية أساليب البيان:

6-1-1/ حجاجية الاستعارة: تعدّ الاستعارة إحدى الخاصيات الجوهرية للغات الطبيعية كما أنها تعتبر من الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية، إذ يعد القول الاستعاري آلية حجاجية بامتياز[2]، وبالعودة إلى سورة الكهف نجد العديد من الاستعارات الحجاجية منها ما ورد في الآيات التالية:

- قال تعالى:﴿**مَّالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَّقولُونَ إِلَّا كَذِبًا**﴾**[5]** في الآية صورة بيانية يذكر فيها ابن عاشور:« فهل كبُرت بضمّ الباء .أصلها الإخبار عن الشيء بضخامة جسمه، ويستعمل مجازا في الشدة، والقوة في وصف من الصفات المحمودة والمذمومة على وجه الاستعارة»[3] أي أنه جيء بكلمة كبُرت تضخيما لفعل الشرك بالله، وفي الآية استعارة مكنية حيث استعير لفظ(كبُرت) التي تستعمل لتضخيم الأجسام ليضخم من فعل المشركين(افتراؤهم على الله)،

[1] التحرير والتنوير، ص 338.

[2] ينظر: فوزية نعامة، التحليل التداولي للخطاب القرآني سورة الإسراء أنموذجا، رسلة ماجستير، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2017/2016، ص 112.

[3] التحرير والتنوير، ج(15)، ص 252.

وتكمن القيمة الحجاجية لهذه الاستعارة في الأثر الذي توقعه في نفس المتلقي، وذلك بتصوير فعل المشركين، والتحذير منه ·

- قوله تعالى: ﴿ **وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَاْ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا**﴾**[14]**، تبين هذه الآية أن الله ثبت أهل الكهف على إيمانهم، وعدم شركهم وعبادة الله وتوحيده، وجاء فعل الربط على القلوب استعارة مكنية قال ابن عاشور:« والربط على القلب مستعار إلى تثبيت الإيمان، وعدم التردد فيه، فلمّا شاع إطلاق القلب على الاعتقاد استعير الربط عليه للتثبيت على عقده»[1].

لقد حققت الاستعارة في لفظ (الربط) في الآية دلالة لا يمكن استيعابها في لفظ آخر، فهي مناسبة للتعبير عن حال هؤلاء الفتية، وحجاجيتها تكمن في إثبات الربط على القلب لتثبيت الإيمان في قلوب الفتية.

- قوله تعالى ﴿**لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهمُ فِرَارًا وَلَمُلِّئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا**﴾[18]، في الآية صورة بيانية يذكر فيها ابن عاشور:« والملْء : كون المظروف حالا في جميع فراغ الظرف بحيث لا تبقى في الظرف سعة لزيادة شيء من المظروف، فمثلت الصفة النفسية بالمظروف، ومُثل عقل الإنسان بالظرف، ومثل تمكن الصفة من النّفس بحيث لا يُخالطها تفكير في غيرها بملء الظرف بالمظروف ، فكان في قوله(ملئت) استعارة تمثيلية»[2]،إذن تكمن حجاجية هذه الاستعارة في تمثيل الصفة النفسية بالمظروف، وعقل الإنسان بالظرف وهذا التصوير الَّذي أظهره ابن عاشور في تحليله لهذه الاستعارة ينطوي على بعد حجاجي إقناعي، تمثلَّ في تقريب المعنى وإيضاحه من أجل التأثير على المتلقي.

- قوله تعالى:﴿ **إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَستَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الوُجوهَ بِئْسَ الشَّرَاب وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾**[29]**، يذكر بن عاشور في تفسيره للآية أنّ: «السرادق هنا

[1] التحرير والتنوير، ج(15)، ص 272.

[2] نفسه، ج(15)، ص 282.

تخييل لاستعارة مكنية بتشبيه النار بالدار، وأثبت لها سُرادق مبالغة في إحاطة دار العذاب بهم العذاب .... والإغاثة مستعارة للزيادة »[1]. أي أنه ذكر المشبه به وهو "النار" التي وردت منونة في الآية الكريمة على سبيل التهويل والترهيب، وحذف المشبه به وهو "الدار" أو السور المحيط بالظالمين ولا منفذ منه على سبيل الاستعارة المكنية، إذن حجاجية هذه الاستعارة تتمثل في تقريب صورة العذاب إلى ذهن المتلقي، من خلال ذكر الحجة القوية التي تتمثل في؛ عجز الكافرين عن النفاذ في استحالة إغاثهم بالماء الذي لقوه حارقا لهم.

ومنه قوله تعالى﴿ **فانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَنا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَها فَأَبَوْا أَنْ يُّضَيِفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيهِ أَجْرًا**﴾[77]، في الآية صورة بيانية يشرحها الطاهر بن عاشور قائلا:« ومعنى (يريد أن ينقض) أشرف على الانقضاض، أي السقوط، أي يكاد يسقط، وذلك بأن مال؛ فعبر عن إشرافه على الانقضاض بإرادة الانقضاض على طريقة الاستعارة المصرحة التبعية بتشبيه قرب انقضاضه بإرادة من يعقل فعل شيء فهو يوشك أن يفعله حيث أراده »[2]،تبرز حجاجية هذه الاستعارة في توضيح صورة الجدار الذي أشرف على الانقضاض وذلك من خلال تشبيه قرب الانقضاض بإرادة من يعقل فعل شيء(الإنسان)، وذلك بهدف إقناع المتلقي.

- قوله تعالى﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا**﴾[99]، يذكر ابن عاشور في تفسيره للآية:« والنفخ في الصور تمثيلية مكنية تشبيها لحال الدّاعي المطاع وحال المدعو الكثير العدد السريع الإجابة، بحال الجند الّذين ينفذون أمر القائد بالنفير فينفخون في بوق النفير، وبحال بقية الجند حين يسمعون بوق النفير فيسرعون إلى الخروج»[3]، من تحليل ابن عاشور لهذه الآية يتضح أنه شبه حال الدّاعي المطاع وحال المدعو بحال الجند الذين ينفذون أوامر القائد، وفي إيراد هذا التشبيه غرضا ومقصدا حجاجيا تمثلَّ في؛

[1] التحرير والتنوير، ج(15)، ص 308.
[2] نفسه، ج(16)، ص 8.
[3] نفسه، ص 41.

إيضاح وتقريب معنى النفخ إلى ذهن المتلقي، من أجل إقناعه بيوم البعث وأنَّ هذه الحياة الدنيا مصيرها الفناء .

- قوله تعالى ﴿**قُلْ لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾[109]، وردت في الآية استعارة مكنية في قوله تعالى:{قُلْ لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي} حيث شبهت معلومات الله المخبَر بها والمطلق عليها كلمات بالمكتوبات، ورُمز إلى المشبه به بما هو من لوازمه وهو المداد الّذي به الكتابة على طريقة المكنية[1]، إذن حجاجية هذه الاستعارة تتمثل في التأكيد على أنّ لا تناهي لمعلومات الله عزوجل وذلك عن طريق إيراد صورة محسوسة وهي أنّه يمكن نفاذ البحر أمّا نفاذ علم الله فأمر مستحيل.

6-1-2/ الكناية: تعتبر الكناية أكثر الآليات بلاغة لما تقوم به من دور ملموس في الرقي بالتعبير والارتفاع به، وتساهم في تقوية المعنى وإبرازه وتقريره في النفس[2].

ومن تجليات الكناية في سورة الكهف ما يلي:

- قوله تعالى ﴿**فَضَرَبْنَا عَلى أَذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِين عَدَدًا**﴾**[11]**، يشرح ابن عاشور هذه الصورة بقوله: «وضربنا على آذانهم كناية عن الإنامة لأنّ النّوم الثقيل يستلزم عدم السمع، لأنّ السمع السليم لا يحجبه إلا النوم، بخلاف البصر الصحيح، فقد يحجب بتغميض الأجفان وهذه الكناية من خصائص القرآن»[3] ولإثبات أنّ دلالة "ضربنا" لم تأت على وجهها الظاهر يقول ابن عاشور:" والضرب بمعنى الوضع، كما يقال ضرب عليه حجابا، أي ضربنا على آذانهم غشاوة أو حائلا عن السمع[4].

[1] نفسه، ج (16)، ص 52.

[2] ينظر: التحليل التداولي للخطاب القرآني سورة الإسراء أنموذجا، ص 114.

[3] التحرير والتنوير، ج(15)، ص 268

[4] ينظر: نفسه، ص 268

هنا يبين ابن عاشور أنّ الخطاب القرآني لا يقصد من الفعل" فضربنا" نسقه المعجمي الإفرادي مع إمكانية وروده، وإن كان ذلك مستبعد وغير مقصود؛ لأن السياق العام الذي ورد فيه الفعل يفرض على المتلقي كفاءة ذهنية للربط بين لفظ الخطاب وقصد الله تعالى الذي استلزم ترجيح فعل غير مباشر يتمثل في وضع الحجاب على آذانهم ليكون حائلا على السمع[1].

- قوله تعالى ﴿**فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إلاَّ مِراءً ظَاهِرًا وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِم مّنْهُمْ أَحَدًا**﴾[22]، أشار ابن عاشور إلى الكناية التي تضمنتها هذه الآية بقوله:« والاستفتاء: طلب الفتوى، وهي الخبر عن أمر علمي مما لا يعلمه كل أحد، والمراد من النهي عن استفتائهم الكناية عن جهلهم بأمر أهل الكهف»[2].

- قوله تعالى:﴿**وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ**﴾[24]، يشرح ابن عاشور هذه الصورة الفنية فيقول: «أي لا تعد بوعد، فإن نسيت فقلت: إنّي فاعل، فاذكر ربّك أي اذكر ما نهاك عنه، والمراد بالذكر التدارك وهو هنا مشتق من الذُكر، وهو كناية عن لازم التذكر»[3].

- قوله تعالى﴿ **وَأُحِيطَ بِثمره فأَصْبَحَ يُقَلِبُ كَفَيْهِ على ما أنْفق فيها وهي خَاوية على عروشها وَيَقُول يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِك بِرَبِّي أحَدًا**﴾[42]، يقول ابن عاشور:« تقليب الكّفين حركة يفعلها المتحسّر، وذلك أن يقلبها إلى أعلى ثم إلى قبالته تحسّرا على ما صرفه من المال في إحداث تلك الجنة، فهو كناية عن التحسر»[4]. تتمثل حجاجية هذه الكناية في تصوير ووصف حالة الرجل الكافر، وأسفه على ماله الضائع وندمه على إشراكه بالله تعالى، لأنّ تقليب الكفين حركة يفعلها المتحسّر.

6-1-3/المجاز: من الآيات التي يتجلى فيها المجاز في سورة الكهف ما يلي:

[1] ينظر: مستويات الأفعال الكلامية في سورة الكهف، ص 216

[2] التحرير والتنوير، ج(15)، ص 294

[3] التحرير والتنوير، ج(15)، ص 298

[4] نفسه، ص 327.

- قوله تعالى﴿**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا**﴾**[6]**، ورد في تفسير التحرير والتنوير أنّ الصورة البيانية تتمثل في المجاز المرسل وقد استعمل الله في خطابه مع بنية"لعل " لتحذير الرسول–عليه الصلاة والسلام –من الاغتمام والحزن على عدم إيمان الذين من قومه وذلك في معنى التسلية لقلة الاكتراث بهم[1]، وتكمن حجاجية المجاز في هذه الآية كون الخطاب موجه من الله تعالى لرسوله الكريم مفاده عدم الاكتراث بحال من لم يؤمن من قومه، وهي بذلك تحوي قيمة حجاجية تكمن في انتفاء الإيمان عن المشركين، وعدم التأسف عليهم.

- قوله تعالى﴿**وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَ يَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قِبَلاً**﴾[55] ، يقول ابن عاشور في تفسير الآية: والإتيان مجاز في الحصول في المستقبل والسنة: العادة المألوفة في حال من الأحوال، وإسناد منعهم الإيمان إلى إتيان سنة الأولين أو إتيان العذاب مجاز عقلي، والمراد ما منعهم إلا سبب إتيان سنة الأولين لهم.[2]

6-1-4/ التشبيه: يُعد التشبيه آلية تلميحية يستعملها المتكلم لتمرير خطابه، وتحقيق وجوده عبر منظمة التخاطب اللغوي، وهو من أبرز أساليب الحجاج والإقناع، فقد استخدمه القرآن الكريم كمعيار للصدق والدقة في التعبير بالصورة لإبراز المعاني المجردة في صور حسية رائعة وموجزة لها وقعها في النّفس[3].

ومن الآيات التي ورد فيها التشبيه قوله تعالى﴿**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الْرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ مُّقْتَدِرًا**﴾ [45]، الخطاب هنا موجه للرسول صلى الله عليه وسلم فيما أورد ابن عاشور: أن أعظم حائل بين المشركين وبين النظر في أدلة الإسلام هو إقبالهم على الحياة الزائلة ونعيمها، واعتقادهم أن هذا العالم غير

[1] نفسه، ج(15)، ص 254.

[2] التحرير والتنوير، ج(15)، ص 351.

[3] ينظر: الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني–سورة البقرة أنموذجا–، ص 151.

آيل إلى الفناء، فجاء التشبيه التمثيلي بتشبيه شيء معقول بشيء محسوس؛ فشبهت حالة هذا العالم بما فيه بحالة الروضة تبقى زمانا بَهِجة خَضِرة ثم يصير نبتها بعد حين إلى اضمحلال، ووجه الشبه: المصير من حال حسن إلى حال سيء[1].

تكمن حجاجية التشبيه هنا في التمثيل، الذي يعدّ من الأساليب الحجاجية وذلك لما له من حجة تقوم على المشابهة بين حالتين؛ حالة هذا العالم بما فيه بحالة الروضة التي تبقى زمانا بهجة خضرة ثم يصير نبتها بعد حين إلى الاضمحلال، وذلك ليبين حقيقة الدنيا، فالآية تدعو إلى ترك الحياة الدنيا فهي فانية والإيمان بأن الله قادر، وأن هناك حياة بعد الموت، وهو إثبات للبعث، وكان الهدف من هذا التمثيل هو تقريب المعنى وإيضاحه إلى ذهن السامع والمخاطب، وذلك قصد إقناعه بفناء الدنيا وبوجوب الإيمان بالله.

إذن نجد ابن عاشور قد استحضر الحجاج في تفسيره لكل أجزاء سورة الكهف، وذلك من خلال تطرقه إلى ذكر وتحليل الآليات البلاغية الحجاجية الممثلة في؛ الاستعارة والكناية والمجاز والتشبيه، وإبراز دورها في التأثير على المتلقي وإقناعه، كونها تساعد في تقريب المعنى وتصويره إلى المخاطب بطريقة أوقع في النفس، وكذلك كون الخطاب القرآني جاء ردا على خطابات أخرى سواء أكانت علنية أو ضمنية، فهو يطرح أمرا أساسيا يتمثل في وجوب الإيمان بالله وحده وعدم الإشراك به.

6-2- الآليات الحجاجية اللغوية:

6-2-1/ العلاقة الحجاجية: وتتضمن حجة ونتيجة.

قوله تعالى:﴿**وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسنَى و سَنَقُّولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا**﴾**[88]**

حجة: الإيمان بالله والقيام بالعمل الصالح.

نتيجة: الجزاء بالإحسان و الثناء.

[1] ينظر: التحرير والتنوير، ج(15)، ص 330- 331

قوله تعالى:﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَات رَبِّهِمْ وَلِقَائِه فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيم لَهُمْ يَوْم الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾

حجة: كفر الكافرين بآيات الله (القرآن والمعجزات)وبلقائه.

نتيجة: بطلت أعمالهم فصاروا محقرين لا شيء لهم من الصالحات.

6-2-2/ الروابط الحجاجية:

ـ الرابط الحجاجي(لكن): يعبر هذا الرابط عن الاستدراك وهي تعبر دائما عن معنى التعارض والتنافي بين ما قبلها وما بعدها[1]، والحجة التي تأتي بعدها تكون أقوى من التي قبلها.[2]

- قال تعالى﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37)لكِنّا هو الله رَبِّي ولا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا(38)﴾

[1] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 60.

[2] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بنغازي- ليبيا، ط 1، 2004، ص 511.

فقد أفاد الرابط الحجاجي(لكن) في الآية الأولى تعارضا حجاجيا بين ما قبل الرابط الحجاجي (لكن) وما بعده، فالتعارض هنا بين الإيمان والكفر، والشكر لنعم الله الجحود بها، وهذا المعنى هو الذي أشار إليه ابن عاشور في تفسيره لمعنى الرابط الحجاجي بقوله: «لكن حرف استدراك، وموقع الاستدراك مضادةُ ما بعد (لكن) لما قبلها. لا سيما إذا كان الرجلان أخوين أو خليلين كما قيل فإنه قد يتوهم أن اعتقادهما سواء»[1].

فقوله:(هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا) هي الحجة الأقوى لأنها وردت بعد الرابط (لكن)، لهذا تأتي في أعلى السلم.

[1] التحرير والتنوير، ج(15)، ص 323.

ـ الرابط الحجاجي(حتى): من الروابط الحجاجية المتساوقة حجاجيا والمدرجة للحجج القوية. والحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي لها ان تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي أنّها تخدم نتيجة واحدة، والحجة التي تلي الرابط تكون هي الحجة الأقوى، لذلك فالقول المشتمل على الأداة(حتى) لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي[1].

قال تعالى﴿ **قَالَ فَإِنِ اِتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا**﴾[70]

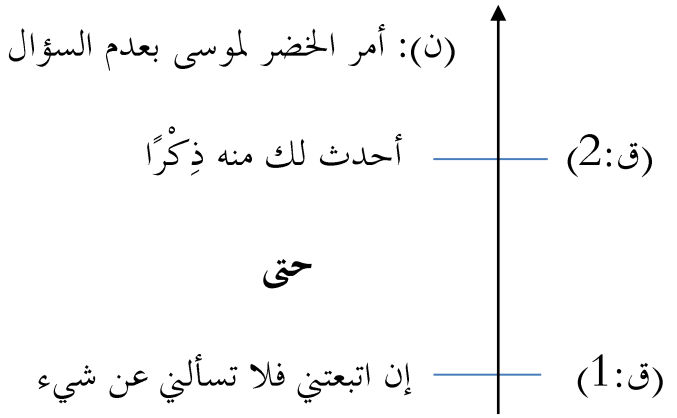

فالحجة الأقوى في هذا السلم تتمثل في إحداث الذكر الذي يقصد به بيان العلل والتوجيهات وكشف الغوامض.[2]

ـ الرابط الحجاجي(بل): وهي من الأدوات التي« تكمن حجاجيتها في أن المرسل يرتب بها الحجج في السلّم، بما يمكن تسميته بالحجج المتعاكسة، وذلك بأن بعضها منفي وبعضها مثبت»[3].

قال تعالى﴿**وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الْرَّحْمةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّنْ يَّجِدُواْ مِن دُونِهِ مَوْئِلاً**﴾[58]، نلاحظ في هذا المثال أنّ الرابط الحجاجي(بل) قد أقام علاقة حجاجية بين الحجة القوية التي هي بعد الرابط الحجاجي "بل": (بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا)، والنتيجة(لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب).

[1] ينظر، اللغة والحجاج، ص 71- 73.
[2] التحرير والتنوير، (15)، ص 374.
[3] استراتيجيات الخطاب، ص 514.

وهذا هو المعنى الذي أشار إليه ابن عاشور في قوله: «و(بل) للإضراب الإبطالي عن مضمون جواب(لو)، أي لم يعجل لهم العذاب إذْ لهم موعد للعذاب متأخر، وهذا تهديد بما يحصل لهم يوم بدر»[1].

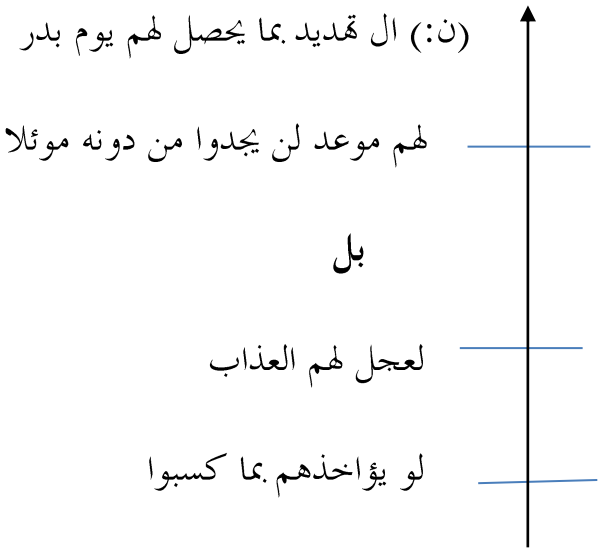

[1] التحرير والتنوير، (15)، ص 357

خـــــاتـــــمـــة

وفي ختام دراستنا لهذا الموضوع تمكنا من الوصول إلى المستخلصات الآتية:

- عرف كثير من النحاة العرب الدراسة التداولية، لأنهم كانوا على صلة بمعاني الكلام، وأحوال الاستعمال اللّغوي وذلك من خلال عنايتهم بالمخاطب والمخاطَب ومراعاتهم للسياق.

- من المباحث التداولية التي عالجها البلاغيون؛ السياق، والمقام، ومراعاتهم للأغراض والمقاصد، وتحديد عناصر العملية التواصلية من خطاب ومخاطَب و مخاطِب.

- استثمر الأصوليون مفهوم الأفعال الكلامية ضمن الأسلوب الخبري والإنشائي، كما اهتموا بطرق تأليف الكلام وأوجه استعمالاته، و بمراعاة قصد المتكلم وغرضه، والسّياق اللّغوي وغير اللّغوي وكل هذه القضايا تعدّ مباحث تداولية.

- من أهم القيم التداولية في منابتها عند الغربيين؛ نظرية الأفعال الكلامية، ومتضمنات القول، والإشاريات والمقصدية، والسياق، والاستلزام الحواري، والحجاج.

- تناول المفسرون دراسة الأغراض البلاغية التي تخرج إليها الأساليب الخبرية والإنشائية وهذا ما يُعرف في الدرس التداولي بأفعال الكلام.

- تناول علماء التفسير في تفاسيرهم قضايا تعدّ الآن من صميم البحث التداولي من ذلك عنايتهم بالمقصدية، والسياق بنوعيه المقالي والمقامي الذي يتمثل في أسباب النزول، وكذا استثمارهم لعلم النحو في بعده الوظيفي الاستعمالي، ودراستهم للآليات الحجاجية البلاغية.

- من القضايا التداولية التي راعاها المفسرون في تفاسيرهم وأولوها أهمية خاصة هي الاهتمام بالخطاب والمخاطَب باعتبار أنّ النص القرآني يسعى للتأثير في المتلقين.

- تباينت تفاسير العلماء في القرآن الكريم في استثمارهم لمفاهيم البلاغة، فمنهم من أعرض عن البلاغة مثل؛ المفسرين الفقهاء والنحاة، ومنهم من كان مُقلا في اعتماده عليها مثل؛ ابن جزي الغرناطي

والصاوي والقرطبي، ومنهم من اهتم بها واستثمرها بشكل واضح كالزمخشري ومن نحا نحوه من المفسرين.

- المفسرون الذين ظهرت في كتبهم القيم التداولية هم الذين اهتموا بقضايا البلاغة واعتمدوا عليها في تفسير كتاب الله.

- يعدّ تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور من أهم التفاسير في العصر الحديث فهو يزخر بدراسة القضايا اللّغوية وبقضايا الاستثمار البلاغي.

- كان ابن عاشور على وعي واضح بأهمية اللغة في التواصل والإبلاغ، ودور السياق، وظروف وملابسات الحديث في فهم معنى دلالات الآيات القرآنية.

- من القضايا التي اهتم بها ابن عاشور في تفسيره وتعدّ ذات قيمة تداولية تناوله للآيات القرآنية على أنها نصٌ واحدٌ، وبيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وبيان وجوه الإعجاز ونكّت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، ومراعاة حال المخاطبين.

- من القيم التداولية التي اعتنى بها ابن عاشور في تفسيره؛ المقصدية، استحضار السياق المقالي والسياق المقامي في دراسة النص القرآني وفهم دلالته وبيان معانيه ومقاصده، واستثماره علم المعاني وتحديده للأغراض التداولية التي تخرج إليها الأساليب البلاغية؛ كالتقديم والتأخير، التعريف والتنكير، والحذف وغيرها.

- الخطاب القرآني في سورة (الكهف) خطاب تداولي بامتياز، فقد تنوعت أساليبه تبعا لتنوع المخاطبين فيه، وحوى الكثير من الأساليب المتنوعة والخطابات المختلفة.

- من القيم التداولية التي أوردها ابن عاشور في تفسيره لسورة الكهف نجد: المقصدية فقد ذكر المقاصد الرئيسية العامة للسورة، والمقاصد الخاصة التي تضمنتها الآيات والقصص المذكورة في السورة.

- استحضر ابن عاشور السّياق اللّغوي في فهم دلالات الألفاظ، والسياق المقامي في معرفة ماتشير إليه بعض الآيات وكذا معرفة ما تشير إليه الضمائر .

- كان للتقديم والتأخير والحذف والتعريف والتنكير في سورة الكهف مقاصد وأغراض تداولية ذكرها ابن عاشور في تفسيره.

- راعى ابن عاشور في تفسيره أحوال المخاطَب، وبنى عليها تفسيره لأصناف الخطاب القرآني في سورة الكهف.

- تعددت الآليات الحجاجية في تفسير سورة الكهف بين آليات بلاغية تمثلت في؛ الاستعارة والتشبيه والمجاز والكناية، وأخرى لغوية تتمثل في العلاقة الحجاجية وما تتضمنه من حجة ونتيجة.

- أشار ابن عاشور في تفسيره لسورة الكهف إلى العديد من الروابط الحجاجية التي ساهمت في تكوين علاقات حجاجية.

- تنوعت الأساليب الكلامية في تفسير سورة الكهف بين استفهام وأمر ونداء، إلاّ أنّ هذه الأساليب خرجت لتؤدي أغراضًا أخرى تستشف من السياق، كخروج الاستفهام للإنكار والتهديد...الخ.

ويبقى الهدف من هذا العمل هو محاولة تغطية جزء من حاجة الطلبة، إلاّ أنه لا يدعي الاكتمال بل يبقى مفتوحا أمام إثراء المزيد من الإسهامات التي تتجاوز الحدود التي وقفنا عندها.

وآخر دعونا أنّ الحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

1) الكتب العربية والمترجمة:

1- أرمينكو فرانسواز، المقاربة التداولية؛(تر·سعيد علوش)، د د، الرباط- المغرب، د ط، 1986.

2- الألوسي شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تح. علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، ج (1).

3- أمقران شعبان، تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شاييم ببرلمان، جامعة باجي مختار - عنابة، مج: 2018.

4- أوستين جون لانكشو ، نظرية أفعال الكلام العامة- كيف ننجز الأشياء بالكلام-، (تر. عبد القادر قينيني)، إفريقيا الشرق، د ط، د ت.

5- الأندلسي أبو حيان محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 3، 2010، ج (1).

6- بلانشيه فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان، (تر. صابر الحباشة)، دار الحوار، سورية، ط 1 2007.

7- بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية- مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم-، بيت الحكمة الجزائر، ط 1، 2009.

8- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، (تح. محمد محمود شاكر)، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر ط 1.

9- الحباشة صابر، التداولية والحجاج مدخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، سورية- دمشق ط 1، 2008.

10- الخالدي صلاح عبد الفتاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، ط 3، 2008.

11- خضير باسم خيري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة تداولية)، مؤسسة علوم نهج البلاغة، كربلاء – العراق، ط 1، 2017.

12- دلاش الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية،(تر· محمد يحياتن)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د ط، د ت.

13- الرازي محمد فخر الدين ، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 2، 1981 ج (4).

14- الرحموني بومنقاش، التفسير خطاب تواصلي (مقاربة تداولية)، جامعة لمين دباغين، سطيف.

15- النّاجح عزّ الدّين، العوامل الحجاجيّة في اللّغة العربيّة، دار نهى، صفاقس- تونس، ط1، 2011.

16-الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار التراث، القاهرة- مصر، ط 3 1984 ج (1).

17- الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل, (تح. محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ط4، 2006، مج(1).

18- سيبويه أبو بِشر عمرو بن عثمان بن قنبر، - كتاب سيبويه-، (تح. عبد السلام محمد هارون)، مكتبة الخانجي القاهرة، ط 3، 1988، ج(1).

19- سيرل جون، العقل واللّغة والمجتمع، (تر.سعيد الغانمي)، منشورات الاختلاف ، الجزائر، المركز الثقافي العربي، ط1، 2006.

20- شاهين أحمد فهد صالح، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث إربد- الأردن، ط 1، 2015.

21- الشيرازي الشافعي البيضاوي ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 308- لبنان، ط 1، د ت، ج (5).

22- الشعبان علي بن عبد العزيز، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل (بحث في الأشكال والاستراتيجيات) ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت_لبنان، ط1، 2010.

23- الشهري بن ظافر عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد بنغازي، ليبيا، ط1، 2003.

24- الشوكاني محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدّراية من علم التفسير مراجعة: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت- لبنان ، ط 4 ، 2007، ج (1).

25- الصّابوني محمد علي، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت- لبنان، ط 4، 1981، مج (2).

26- صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة" الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت – لبنان، ط 1، 2005.

27- صولة عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت – بيروت، ط 2، 2007.

28_ الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (تح. عبد الله بن عبد المحسن التركي)، دار هجر، القاهرة_ مصر، ط 1، 2001.

29- ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، 1984، ج (25).

30- العزاوي أبو بكر، اللغة والحجاج، الدار البيضاء- المغرب، ط1، 2006.

31- عكاشة محمود، النظرية البراجماتية اللسانية التداولية "دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب القاهرة مصر، ط1، 2013.

32- عموش خلود، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط 1، 2008.

33- قطب سيّد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة- مصر، ط32، 2003، مج (1). سيبويه أبو بِشر عمرو بن عثمان بن قنبر، - كتاب سيبويه-، (تح. عبد السلام محمد هارون)، مكتبة الخانجي القاهرة، ط 3، 1988، ج(1).

34- كريم جاد عبد الله ، التداولية في الدراسات النحوية، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ط1، 2014.

35- المتوكل أحمد، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتدادات، دار الأمان، الرباط – المغرب، ط1، 2006.

36- مقبول إدريس، الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث عمان- الأردن، ط 1، 2006.

37- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، (تح: عبد الله علي وآخرين)، دار المعارف القاهرة- مصر، ط1، 1119، ج5.

38- نحلة محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، الإسكندرية- مصر، د ط 2002.

39- نهر هادي، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل، إربد- الأردن، ط1، 2007.

40- النيفر احميدة، الإنسان والقرآن وجها لوجه(التفاسير القرآنية المعاصرة) قراءة في المنهج، دار الفكر سورية 2000.

2) الدوريات:

41- بايصيل صالح أحمد وشريفة أحمد حسن القرني، (يناير 2019)، [البعد القصدي لتداولية أفعال الكلام في الخطاب القرآني]، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جدة- المملكة العربية السعودية العدد الأول.

42_ بوقمرة عمر، نظرية الحجاج في اللغة في الدراسات العربية المعاصرة: الاستيعاب والممارسة، مجلة العاصمة، مجلة سنوية، كلية الجامعة تروننتبرم، كيرالا– الهند، مج: 9، 2017.

43_ حسني نور الهدى _ لهويمل باديس، اللسانيات التداولية في الخطاب البلاغي العربي" متابعة تداولية"، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة محمد خيضر- بسكرة، العدد الثاني، 2017.

44- حشاني عباس، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، العدد التاسع 2013.

45- صحراوي مسعود، المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي، مجلة الدراسات اللغوية، أبريل- 2003. 46_ بن عروس مفتاح، وجهة الخطاب في سورة المؤمنون، مجلة اللغة والأدب، مجلة أكاديمية يصدرها معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد 17، جانفي، 2006.

47- لهويمل باديس، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد السابع2011.

48_ السّياق ومقتضى الحال في مفتاح العلوم_ متابعة تداولية_ مجلة المخبر، جامعة بسكرة- الجزائر، العدد التاسع، 2013.

49- نعمان بوقرة،(الأربعاء، 11 مايو 2011)، ملامح التفكير التداولي عند الأصوليين، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الرابعة عشرة، العدد،45.

3) الرسائل الجامعية:

50- بشلاغم عبد الرحمن، تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي-تفسير فخرالدين الرازي لسورة المؤمنون-، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013/ 2014.

51- باكيز رضوان، المقاييس البلاغية في تفسير روح المعاني للألوسي، رسالة دكتوراه، جامعة القرويين مراكش، 2014/2013.

52- تومي عيسى، الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني- سورة البقرة أنموذجا-، رسالة ماجيستير، جامعة محمد خيضر- بسكرة، 2015.

53- خلوفي قدور، مستويات الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني- سورة الكهف أنموذجا-، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 2015/2014

54- خمار عبد الفتاح، دلالة السياق في فهم النص (سورة يوسف أنموذجا)، رسالة ماستر، جامعة محمد خيضر- بسكرة، 2015/2014.

55- دايد عبد القادر، أثر السياق في ترجيح دلالة النص لدى الزمخشري" الكشاف أنموذجا"، رسالة ماجستير، جامعة أحمد بن بلة- وهران، 2018/2017.

56- الشارف الطاهر، المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2006/2005.

57- عماري محمد، مبادئ الدرس التداولي في التراث العربي" نظرية الخبر والإنشاء أنموذجا"، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة1- الجزائر، 2017/2016.

58- عمران قدور، البعد التداولي في الخطاب القرآني الموجه لبني إسرائيل، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر،2009/2008.

59- ابن عياد فتيحة، مصطلحات التداولية بين المعجم والاستعمال، رسالة ماجستير، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، 2014-2015.

60- ابن مبارك بن مصطفى، المنحى التداولي في تفسير الكشاف للزمخشري، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان، 2017/ 2018.

61- نعامة فوزية، التحليل التداولي للخطاب القرآني سورة الإسراء أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2017/2016.

62- واضح أحمد. الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2012.

4) المحاضرات:

63- إبراهيم ميهوبي، محاضرات في البلاغة والنظريات التداولية، 12:45 سا، 2018/11/28.

64- مسعود صحراوي، محاضرات في البلاغة الجديدة، 3-12-2019، ساعة: 10

فهـــــرس

الموضوعـــــــات

فهـــــرس الموضوعـــــات

المضمون	الصفحة
إهداء	
شكر وعرفان.....	
مقدّمة.....	(1 _4)
مدخل: ملامح التداولية في التراث اللغوي العربي.....	5
ملامح التداولية عند النحاة.....	8-6
ملامح التداولية عند البلاغيين.....	9- 13
ملامح التداولية عند الأصوليين.....	13- 14
ملامح التداولية عند المفسرين..... ...	15-16
الفصل الأول: القيم التداولية في كتب التفسير	
المبحث الأول: القيم التداولية في منابتها عند الغربيين.....	**18 – 31**
1) الأفعال الكلامية.....	18
1_1_ مفهوم الفعل الكلامي.....	18
1_2_ أقسام الفعل الكلامي.....	18- 22
2) متضمنات القول.....	22
3) الإشاريات.....	22- 24
4) القصد.....	24- 25
5) السياق.....	25- 26
6) الاستلزام الحواري.....	26- 28
7) الحجاج.....	28- 31
المبحث الثاني: القيم التداولية في كتب التفسير.....	**31– 49**
1) مفهوم التفسير.....	31
2) المقصدية.....	32

3) السياق..... 33- 36
4) استثمار علم المعاني..... 36
4_1_ التقديم والتأخير..... 36- 39
4_2_ الحذف..... 39
4_3_ التعريف والتنكير..... 40- 41
4_4_ الفصل والوصل..... 42-44
5) الحجاج..... 44- 46
6) مراعاة الخطاب والمخاطَب..... 46- 48
7) الأفعال الكلامية في أساليب الكلام..... 48- 49
المبحث الثالث: تباين مواقف الاستثمار البلاغي في كتب التفسير 50- 56
1_ موقف المقلين..... 50- 51
2_ موقف المكتفين بتوسيمات الوصف العلمي لظواهر البلاغة..... 51- 52
3_ موقف المحتفين بالاستثمار الوظيفي للظواهر البلاغية..... 52- 56

الفصل الثاني: القيم التداولية في تفسير التحرير والتنوير

المبحث الأول: التعريف بالمؤَلِف والمؤَلَف..... 59-63
1) التعريف بصاحب التفسير" محمد الطاهر ابن عاشور"..... 59
2) التعريف بتفسير التحرير والتنوير..... 60- 63
المبحث الثاني: تجليات القيم التداولية في تفسير التحرير والتنوير..... 63- 94
1) المقصدية..... 64-65
2) السياق..... 65
2_1. السّياق اللّغوي..... 66- 67
2_2. السياق المقامي..... 67- 71
3) استثمار علم المعاني..... 72
3_1. أسلوب التقديم والتأخير..... 72- 81
3_1_1. تقديم المسند إليه..... 73- 81

3_1_2. تقديم المسند..... 74- 77
3_1_3. تقديم متعلقات الفعل..... 77- 81
3_2. الحذف والذكر 81
3_2_1. أسلوب الحذف..... 81- 86
3_2_2. أسلوب الذكر..... 86- 87
3_3. التعريف والتنكير..... 87
3_3_1. التعريف..... 87- 89
3_3_2. التنكير..... 89-90
3_4. إبراز مغازي التراكيب وأسرار الأساليب..... 90- 91
4) الحجاج..... 91- 94

الفصل الثالث: القيم التداولية في تفسير سورة الكهف عند ابن عاشور

أولا: التعريف بالسورة وأسباب نزولها..... 96- 99
1) التعريف بسورة الكهف..... 96
2) أسباب نزول سورة الكهف..... 96- 97
3) القصص الذكورة في سورة الكهف..... 97- 99
ثانيا: استخراج بعض القيم التداولية في تفسير ابن عاشور للسورة..... 99- 129
1) بناء تفسير سورة الكهف كخطاب..... 99
2) المقصدية..... 99
2_1_ المقاصد العامة..... 100
2_2_ المقاصد الخاصة..... 100- 102
3) السياق..... 102
3_1_ السياق اللّغوي..... 102- 104
3_2_ السياق المقامي..... 104- 105
4) الاهتمام بأساليب الكلام وقيمها البلاغية..... 105
4_1_ التقديم والتأخير..... 105- 107

4_2_ التعريف والتنكير..... 107- 109
4_3_ الحذف..... 110
5) مراعاة المخاطب..... 110- 111
6) أساليب الخبر والإنشاء استثمار آليات 112
6-1 الأسلوب الخبري..... 112- 114
6-2 الأسلوب الإنشائي..... 114- 119
7)استثمار آليات الحجاج..... 119
7_1/ حجاجية أساليب البيان..... 119
7_1_1. حجاجية الاستعارة..... 119-122
7_1_2. الكناية..... 122- 124
7_1_3. المجاز..... 123-124
7_1_4. التشبية..... 124- 125
7_ 2/ الآليات اللّغوية..... 125
7_2_1. العلاقة الحجاجية..... 125- 126
7_2_2. الروابط الحجاجية..... 126- 129
خاتمة..... **131 –133**
قائمة المصادر والمراجع..... **135– 140**
فهرس الموضوعات..... **142– 145**
ملخص

ملخص

البـــــــــحث

الملخص:

يندرج هذا البحث في مجال التداولية التي تهتم بدراسة الاستعمال اللغوي وتفعيل دور اللغة في عملية التخاطب من خلال التركيز على واقع الاستعمال، ويطمح موضوعه إلى الوقوف على أبرز القيم التداولية التي عالجتها كتب التفسير، والتي وظفها محمد الطاهر ابن عاشور في خطابه التفسيري. ولدراسة هذا الموضوع ومعالجة قضاياه قسمنا البحث إلى مدخل وثلاثة فصول؛ تطرقنا في المدخل إلى ملامح التداولية في التراث اللغوي العربي، وخصصنا الفصل الأول للكشف عن أهم القيم التداولية في كتب التفسير، وأما الفصل الثاني فجعلناه لبيان أهم القيم التداولية التي استثمرها ابن عاشور في تفسير التحرير والتنوير، بينما خصّصنا الفصل الثالث للوقوف على أمثلة للاستثمار التداولي في تفسير ابن عاشور لسورة الكهف، وفي خاتمة البحث استعرضنا أهم النتائج المتوصل إليها.

الكلمات المفتاحية: القيم التداولية، التفسير، التحرير والتنوير، السياق، الحجاج، المقصدية.

Summary:

This research falls in the field of deliberation, which is concerned with studying linguistic use and activating the role of language in the process of communication by focusing on the reality of use, and its topic aspires to stand on the most prominent deliberative values dealt with in the books of interpretation, and which was employed by Muhammad al-Taher Ibn Ashour in his expository speech. To study this topic and deal with its issues, we divided the research into an introduction and three chapters: In the entry, we touched upon the features of deliberativeness in the Arab linguistic heritage, and we devoted the first chapter to the detection of the most important deliberative values in the books of interpretation, and the second chapter we made it to explain the most important deliberative values that Ibn Ashour invested in the interpretation of liberation and enlightenment, while we devoted the third chapter to identifying examples of deliberative investment in Ibn Ashur's interpretation of Surat Al-Kahf, and in the conclusion of the research we reviewed the most important findings.

Key words:

Pragmatic Values, Explanation, arguments, Context, Intentionality.